

المقدمة:

أحبائي القراء السريان الأكارم

ها أنذا أضع بين أيديكم الكريمة كتابي الثاني في الأدب السرياني والذي وسمته باسم ܡܘܨܗܐ ܡܨܦܩܬܐ ܗܘܼܨܢܐ ܚܘܼܨܐܘܼܬܐ ܘܼܡܗܘܼܩܘܼܬܐ ܘܼܥܒܘܼܩܘܼܬܐ الخزامى والريحان في أدب السريان، وهو مجموعة بحوث أخرى نشرتها أيضا بعد تلك المنشورة قبلا في مجلات مختلفة وجريا على عادتي درست فيها جوانب مختلفة من فنون الشعر والأدب السرياني خصوصا مار أفرام السرياني نبي السريان وشمسه وأمير شعرائهم الذي لا يجارى. وكذلك عبيدشوع الصوباوي وخامس القرداحي من القرن الثالث عشر ومبتدأ القرن الرابع عشر وهما يمثلان قطبين كبيرين في التراث الشعري للسريان المشاركة إضافة إلى موضوع العلم في القصيدة السريانية ومقارنة بين المعجم السرياني والمندائي عسى أن أكون قد خدمت بعلمي هذا تراثنا السرياني الثروالغني بنفائس الدرر والآلئ وأدعو جيل الشباب بوجه خاص ليدرسوا هذه الفن ليتعلموا منها كيفية بناء القصيدة الشعرية واختيار الصور الزاهية والله أسأل أن تتال رضا الأدباء وله الشكر الدائم على نعمه وآلاته.

مكانة العلم في القصيدة السريانية

امتاز السريان بمحبتهم للعلم والعلماء وقد أسسوا المدارس الكثيرة في البلاد التي استوطنوها بل كان ملحقا بكل دير مدرسة، فقد بلغت المدارس في العصر الذهبي للسريان ما يقرب من خمسين مدرسة، وصلت مكانة البعض منها مكانة الجامعة اليوم كنصيبين والرها، فلا غرو إذا ما وجدنا أساتذة وطلاب تلك المدارس يهتمون بالتعليم ويجدون في طلبه وينشدون في ذلك القصائد العصماء.

وعلى رأس هؤلاء مار أفرام السرياني أستاذ جامعتي نصيبين والرها لمدة تقرب من أربعين عاما.

فقد جاءت قصيدته في العلم لتكون شعلا تهتدي به الأجيال من بعده في اعتبار العلم والعلماء بل هي درس خالد للبشرية تأخذ منه العبر على مر الدهور والعصور ودونكم بعضا من أبياتها مع ترجمة وتعليق عليها.

الله هَجْ مَحَلُّنَا : لَأَسْنَا وَنُسَمُّ مَحَلُّنَا
هَذَانَا وَمَلَكُ مَعْنَا : حَبِيبِنَا وَنَا مَحَلُّنَا
أَسْنَا وَنُسَمُّ مَحَلُّنَا : نَهْهَّا مَعْنَا مَحَلُّنَا
هَأَسْنَا وَنُسَمُّ مَحَلُّنَا : لَأَ مَحَلُّنَا وَنَهْهَّا مَعْنَا

1. اللهم هب العلم لمن يحب العلم.
والمعلم الذي يجيد التعليم اجعله عظيما في ملكوتك.

إن من يحب العلم يكون دائم النشاط
ومن يحب الكسل لا يمكن أن يكون نشيطاً.

في المقدمة يطلب الشاعر من الله أن يضع العالم والأستاذ والمربي في مكانة مرموقة ليس في هذه الأرض الفانية حسب، بل في الحياة الثانية في دار الخلود والنعيم مع القديسين والأبرار وبذا رفع مرتبة المعلمين والأساتذة إلى مرتبة القداسة بل وضعهم في أعلى مرتبة يستطيع أن يبلغها الإنسان.
نعم إن محب العلم دائم النشاط فهو كالنحلة التي تطير من زهرة إلى أخرى لتمتص رحيقها وخصوصاً في الصباح لتصنع منه عسلاً طيباً غذاءً ودواءً للإنسان وكذلك العالم الجليل يقضي سواد ليله وبياض نهاره بين أوراق الكتاب ولا يعرف الكسل حبا بالإنسانية ليعطيها عصارة فكره ويضعها على الطريق الصحيح كل حسب اختصاصه.

دُبْعًا مِّنْ سَعْيِهِمْ: كَأَنَّهَا وَهِيَ كَالْحَقِيقَةِ
هِيَ وَسِعَتْ مَجْمَعًا: هِيَ وَهِيَ كَالْحَقِيقَةِ
حَبْلُهَا مِنْ سَعْيِهَا: وَهِيَ كَالْحَقِيقَةِ
هِيَ وَسِعَتْ مَجْمَعًا: وَهِيَ كَالْحَقِيقَةِ

2. أيها الإنسان اقتن الاجتهاد لأنه كنز العلم العظيم.
وابتعد عن الكسل فإنه مخزن مليء بالخسران.
وطالع الكتب يجد كيما تحصل على اللذة منها
وابتعد عن الشراهة لئلا تخسر كل ما حصلت عليه.

نعم إن كنز العلم معين لا ينضب ومن يأخذه صديقا له لا يعرف
الخسران ولذة الكتاب لذة ما بعدها لذة، فهي ترفع الإنسان إلى العالم الآخر
حيث الصفاء والنقاء والراحة النفسية والفكرية ومن يهذ بقراءة الكتب دوما
يصبح إنسانا آخر يسمو فوق المادة ومشاكلها ولا يعاني خدين العلم من
الأمراض حيث ان الكسل يعلم الخبائة كقول الكتاب "لأن البطالة تعلم خبائة
كثيرة" كما أن المعدة بيت الداء ومن يبتلي بمرض الشراهة سيكون عرضة
للافات والأمراض العديدة ولا يهنأ في عيشه.

وَهُجَا مَهَامَا لِي مَامَا : لَأَلَاؤُمِ هَلَّا مَعْلَجَهُ
أَلَّا حَجَلَهُ هُوَسَّ : مَصَّجَامَهُ لَاهِبِ
وَهُجَا مَسَّ حُبَّ حَصْفَهُ سَلَا : مَعْلَجُنَا وَلَا حَصْفَهُ سَلَا
وَهُجَا مَصَّجَا أُهُجْرُنَا : هُونَا سُسَا هَجَهُ صَعْمَا

3. ولا تتكبر وتفخر إذا ما امتلكت ذهباً وفضة.

بل اسلك في طرقك باتضاع

اقتن الذهب بحدود أما العلم فبلا حدود.

لأن الذهب يكثر المصاعب وأما العلم فيعطيك الراحة والهدوء.
إن الكبرياء في أصل البلاء على الإنسان وهي التي أنزلته من
سماء المجد إلى أرض الشقاء واللعنة بل جعلته يكذ ويتعب طول حياته ويأكل
خبزه بعرق جبهته والاحترام الحقيقي للإنسان يكمن في التواضع "لأن من
وضع نفسه ارتفع".

إن المال والذهب وجدا لخدمة الإنسان ولكن إذا ما أصبحا غاية في حد ذاتهما انقلبا إلى الضد وصار الإنسان عبد لهما وخادما مطيعا بل أسيرا لمحبتهما التي تفقده حتى الكرامة "لأن محبة المال أصل لكل الشرور".
لذا يحذر شاعرنا من التماذي في حب الذهب ولكنه يوصي بمحبة العلم غير المحدودة التي تكون سببا في راحة واحترام صاحبها. ثم يستمر في إبداء نصائحه وإرشاداته التي منحت إياها خبرته الطويلة في التعليم إلى أن يقول:

أَجْبَا حَبًّا رَجَه نَهْهَا حَصْبُ: مَهْمَهْمَا كُأَهَقُ
حَمَّاجِلًا مَهْمَهْمَا أُجْبُ: مَهْمَهْمَا مَهْمَا

4. ليكون لكل أمر وقتا واسلك بترتيب.

للأكل وللشرب وقتا وكذلك للعلم والدرس.

هنا تبدو أهمية التنظيم في حياة طالب العلم بل حياة الإنسان، لأن التنظيم أساس النجاح في الحياة واحترام الزمن من المقومات الأساسية في تقدم ليس الأفراد فقط بل الشعوب والدول أيضا وشاعرنا قبل أكثر من ستة عشر قرنا يؤكد على هذه النقطة الهامة بالذات ولا عجب في ذلك فهو لولا تنظيم وقته لما بلغ ما بلغ إليه من منزلة.

هُجَا بِه سَجْعَلًا مَّه أَسَا: مَهْمَهْمَا مَّه مَهْمَهْمَا
مُهَجَّ حَكَا هَلَّا مَهْمَم: مَّه مَحْكَا مَحْكَا مَهْمَا

إن الحكمة تأتي نتيجة الخبرة في الحياة وكذلك العلم. أما المال
فيمكن الحصول عليه بطرق كثيرة حتى لئن كانت غير مشروعة. لذا فإن
الحكمة والعلم أثمن بكثير من المال والذي هو مجلبة للتعب إذا ما زاد عن
حده انقلب إلى ضده.

والحكمة مهمة في حياة الإنسان إذ تجعله يهنأ في حياته مع
الآخرين ومع نفسه لذا ففان الفتى الحكيم أفضل بكثير من الملك الشيخ
الجاهل، لأن الجاهل مرض الأمراض وآفة الآفات الاجتماعية بل هو السوس
الذي ينخر في المجتمع، فكيف إذا كان الملك مصابا يمثل هذا الداء العضال.
أما مار إسحاق الأنطاكي من القرن الخامس فهو الآخر نظم قصيدة
رائعة في العلم ومحبتة ذات معان سامية وتشبيهات جذابة تأخذ بمجامع
القلوب نقتطف بعضها منها:

مُحَلِّقًا مَحَلًّا بِهِ وَبَجَعًا: وَجُدَّ مَحَلِّسًا وَفَعْلًا
لُحْمًا سَكْمًا وَمَصْبَرًا: حَصْبًا وَجَلًّا مَعْرُوفًا
مُصْعَلًا بِهِ وَوَسَّحَ كُؤُومًا: حَيَّهَ وَحَسْبًا مَعْرُوفًا
عِنَا كُنْ كَلًّا بِحَلًّا: حَبْمَةً مَعْمًا كَلِّكًا

5. العلم ملح للنفس يتشدد ضعفها

ومذاق سليم يطيب الفكر الذي يلهج به كل يوم
هو الشمس النافذة من خلال الأذن إلى الفكر لتتيره

بل تذيب الجهل كما يذيب الوهج الجليد.

صور شعرية جميلة وتشبيها حلة يصف بها العلم فإن الملح معروف باستعماله لحفظ الأطعمة والأشياء من الفساد والعفونة وذلك يمنع الجراثيم من التكاثر والنمو وبالتالي القضاء عليها، ولا أخطر من جرثومة الجهل على الإنسان فالويل لمن يصاب بهذه الجرثومة لأنها تحصله عرضة للمآسي مدى الحياة بل هي بلاء ليس على الفرد وحده لكن على المجتمع بأسره.

ومعروف أيضا أن الطعام بدون ملح لا يمكن أن يؤكل ولا طعم له فهو الذي يعطيه الطعم المقبول سواء كان نيئا كالخضار أو مطبوخا كاللحوم بل يحفظه ولئن ترك لفترة دون فساد كانت تحفظ في قوارير من الفخار مملحة طيلة الشتاء قبل اكتشاف التلاجات والمجمدات.

كذلك العلم يحفظ النفس الإنسانية من الوقوع في الخطأ والزيفان ويجعلها منسجمة مع مجتمعتها التي هي جزء منه.

الشمس تذيب الجليد وتمنح الدفء للإنسان لكي يعمل وشمس العلم تذيب جليد الجهل المتكثف في العقل وتنيره فيشع بأنواره الكاشفة على البشرية ويخدمها في حقول المعرفة كافة.

إلى أن يقول:

نَجْمًا وَنَجْمًا مَعْلُومًا ۝ وَنَجْمًا مَعْلُومًا ۝
هَجْلًا نَجْمًا ۝ وَلَا مَعْلُومًا ۝ هَجْلًا ۝ مَعْلُومًا ۝ مَعْلُومًا ۝

1. العلم هو نفس للنفس ومنه تستمد الحياة

والنفس التي لم تملح به هي جثة هامة مردولة.

تشبيه آخر رائع وجميل فإن الحياة هي في ارتباط النفس بالجسد ومتى انفصلت عن الجسد أصبح الجسد بلا حراك بل إن هي إلا سويغات ويبدأ بالفساد والتعفن وتفوح منه رائحة كريهة ويجب التخلص منه بوضعه في القبر ليعود إلى التراب الذي أخذ منه.

كذلك الشخص الجاهل وغير المتعلم يكون مصدر أذى للمحيطين به بتصرفاته غير المتزنة وغير الموجهة بل قد يأتي بأعمال تؤدي بالمجتمع إلى الهلاك. ثم يردف قائلاً:

أَكُنَّا بِهِ وَجَلَّا مَعَهُ مَدَامَهُ: هَجَلَّا مَعَهُ فَكُنَّا حُلُكُهُ
لَا مَدَامَهُ وَوَا مَعَ قَاؤُهُ: مَعَا وَبَجَدًا يُبَعُّ نَعَسًا حَهُ

2. هو شجرة تقطف ثمارها كل يوم.

وكل يوم تعود تنثر غلاتها

لا تتفد ثمارها البتة

بل كلما طلبها المرء يجدها.

ما أحلى الشجرة المورقة التي تعطي ثمرها في أوانه وورقها لا يذبل كذلك الإنسان الذي يتربى على حب العلم يكون دائم العطاء "ومغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ" إنه يعطي دون حساب ولا يسأل من يعطيه أجراً كالشجرة التي تعطي الثمر ولا تطلب أجراً.

كَلِمَةٌ لَهُ مَعَهُ أَلَمْ يَجِبْ: وَيَكْفُرُ بِهِ مِمَّا أَحْتَسِبُ
هُوَ أَفْطَلُ كَلِمًا مَدْحًا لَهُ: مِمَّا وَخَصَّ اللَّهُ خَلْقًا

3. ليس للعلم شتاء، ليعريه من ثماره.

ولا الجليد يعيقه عن دفع غلاته.

إن الشتاء يجعل الأشجار في سبات ولا تعطي ثمارها، أما العلم فعلى العكس منها لا شتاء يمنعه من العطاء ولا صيف لا هب يصدّه عن استمرار هذا العطاء، فهو كالنهر الدافق سريع وصاب ورائف ورائق، الجليد يؤثر في الشجرة ولكن هل يستطيع أن يقف في طريق المعرفة والعلم، كلا فإن العلم مستمر في عطائه رغم كل الظروف والمعوقات التي توضع في طريقه من قبل أعداء الإنسان وله في مجلة العلم أبيات معبرة وجميلة جدا ولا غرو فهو شاعر موهوب ومرهف الحس نختار منها بعض الأبيات:

مَدْحٌ وَيُسَمُّ كَلِمًا: هَلْ أَسْمَأُ مِمَّا كَلِمُ
مَدْحٌ لَأَمْ حَمَلُجِبُهُ: هَلْ لَأَمْ حَمَلُ حَمَلُهُ

4. من ذا الذي أحب العلم، ولم يكن محبوبا من كل أحد.

من ذا الذي كد في تعليمه ولم يكد العالم في مدحه.

إن أفضل شيء في حياة الإنسان أن يكون محبوبا من الناس ويحظى باحترامهم العالم الجليل قد كسب ود ومحبة واحترام المجتمع، فلولا الود وهذه المكانة وما الجوائز التي تمنح للعلماء والمبدعين سوى دليل على

هذا التقدير العالي من أبناء المجتمع، بل حتى الهيئات والدول تكرم علماءها ومبدعيها من خلال مثل هذه الجوائز.

مَنْ حَكَمَ مَعَهُ حُكْمًا: وَحُكْمَهُ لِحُكْمِهِ
مَنْ وَسَعَهُ هَلَاكُ الْبُلَا: مَعَهُ حَسَنَةٌ عَفْوًا

5. من ذا الذي تدمر من العلم كأنه غمط له حق قراءته

من ذا الذي أحبه ولم ينتفع من عشرته الكيسة

لا يوجد من يتدمر من العلم إلا من لا يعرف قيمته، وهل كان العلم يوما ناكرا للجميل؟ كلا وألف كلا، فالعلماء وفي كافة أنحاء المعمورة لهم مكانتهم المرموقة في المجتمع.

أَمَّا الْخَصْبُ هُوَ الْكَلْبُ: هَلَا مَلِكًا هُوَ الْخَصْبُ هُوَ
مَعَهُ وَكَيْسٌ حَسَنَةٌ: هَلَا هُوَ حَكِيمًا فَمَعَهُ

6. من ذا الذي صار له تلميذا، ولم يصر له الملوك تلاميذ

من ذا الذي أحب عشرته، ولم يضح في العالم أميرا.

أجل إن الملوك والحكام والرؤساء والمشيرين لا يستحون من أن يصيروا تلاميذ للعلماء لأنهم في حاجة دائمة إلى العلماء وفي جميع فروع المعرفة، كالطب والصيدلة والهندسة والقانون والاقتصاد والفن والموسيقى والاجتماع والتاريخ لأن الحياة سلسلة مترابطة وإذا ما فقدت حلقة من هذه السلسلة فإنها لا يمكن أن تستمر في عملها.

ومحب العلم محبوب من المجتمع ومكانته محفوظة ومرموقة
ويعيش معززا مكرما حيثما حل أو رحل ويكرم الملوك والأمراء والرؤساء
وقادته عليهم. إلى أن يقول:

كِرْوَمَجَا حَكْمًا وَأَمْعَانًا: هَمَّ لَأَمَّةٍ وَحَلَا لَأَوْجِهٍ
حُسْبُهُ وَأَوْقَا مَهَبٌ: هَامِحٌ لَأَسْمِ حَلَا صَقْلًا
هَلِي مَهْمُتًا نَأْمًا حَه: حَمَمُهُ لَأَمَصَّهَا حَه
كُكَّه لَأَ حَه حَلَمًا: صَعَا مَلَمًا نَجَّ بُوَهَا

7. إنه يجعل المعوزين في بحبوحة، فمن ذا الذي لا يسهر على بابه
إنه يسند المناصب إلى المتسولين، فكيف لا يكون محبوبا لدى
الجهال

فإذا أوصل إلى الرئاسة المسكين الذي يكد في أثره
فكم ترى يعظم شأن الفتى لو كد في سبيله
العلم هو السبيل الوحيد للوصول إلى الأهداف وتحقيق الطموح
فبغيره لا سبيل إلى الوصول إلى ما يبتغيه الإنسان، فبالعلم وبالعلم وحده
يصل الإنسان إلى تلك الأهداف، سواء كانت مادية أو معنوية، فالرئاسة
والسلطة المقرونة بالعلم ستكون أكثر نجاحا وثباتا وعطاء للشخص نفسه
ولمجتمعه.

وهنا يبدو أن الشاعر قد تأثر بمار أفرام حيث لدى مار أفرام أبيات تحمل نفس الفكرة وشاعرنا قد أخذ الفكرة وصاغها في صورة شعرية أخرى.

مَكَلَّا كَجِبًا مُهَجِبًا : مَعَامَ حِنَعًا مَحْتَحِبًا
مَع مَمَلًا كَلُّهُنَّه : مَحَلًّا مَحَمَّه مَحَمَّجًا

8. إن العلم يضفر إكليلا ويتوج به رأس محبيه

ويرفعه من المزبلة ويجلسه على عرش المملكة.

أليست الفكرة واحدة؟ وإن اختلفت الصورة الشعرية لديهما وهي جميلة ورائعة لدى الإثنين وتدل على سمو وإبداع شعري. ولمار يعقوب السروجي الشاعر المبدع من القرن الخامس ومبتدأ القرن السادس قصيدة رائعة في العلم وفيها صور شعرية حلوة وذات نكهة ولا غرو فهو من فحول الشعراء السريان.

9. حيث يقول:

مَم مَحَجِبًا مَعَمَلًا تَحَلُّمًا مَع مَتَمًا :
مَحَمَّ سَأَ حَلَمًا مَحَمَّه مَحَمَّجًا كَيْه

قم أيها العلم أحرز غلاتك من الأسفار

فمنك يأمل العالم أن يشبع لأنك مبارك

يخاطب شاعرنا العلم لحمل وجمع غلاته من الأشجار حاثا إياه على العمل والكد في سبيله، كما يضع في مصاف الغذاء للعالم لكي يشبع منه، وهو بهذا قد أضاف كبد الحقيقة فإن العلم هو غذاء الإنسان الروحي بل إن بعض العلوم التقنية تعمل على توفير الغلال لسد جوع الإنسان المادي أيضا ثم يقول:

سَا أَوْحِبُّ أَعْيَا مَدَّةَ كَبُوسَمِ كُبُ:
 سَمَكِبُ نَعْمًا هِيَ. مُمْرُ حُذِّ كَبَّعًا وَعَنْتًا
 حُسُّهُ سَمًا مُمْرُ كُبُ حَهُأُ وَأَبْلًا مَصَلَّابُ

10. إن بذارك حياة، فأكثر منه لمن يحبك.

أما حقلك فهي النفس، فضع فيها أكداس الحقائق.

لقد طمرت بين السطور ثراء لا ينفد.

يشبه الشاعر الحياة بالزرع، ويحثه على إعطاء المحب الكثير منه، فالزرع إذا أغلت وأثمرت منحت الإنسان العافية والهناء - وحقل العلم هي النفس التي كلما تعبت في طلب العلم ازدادت عطاء للمجتمع شبيهها في ذلك الحقل الذي يكون مليئا بالغلال يبهج الإنسان. وكما أن الحقل إذا ما حرث جيدا فإنه يعطي الخيرات بسخاء كذلك الكتب إذا ما درست بعمق واجتهاد تصير جزيلة الفوائد ويعم خيرها الشخص والمجتمع بل الإنسانية كلها.

وَجَلَّا سَقَّتَمًا مَدَّةَ مَحَجَبِ هَأُيْ وَأَمَلَّهَ هَئِ:

مُحِبِّهِ هَدَانَا مَعَ مَتَّعُوا لَأَهْلِيهِمْ
مَحْمُودًا وَمَا مَصْعًا مَعًا هَلَّا مَلْحَصًا

11. يغرف منه جميع الحكماء، وهو لا يزال كما هو.

إن العقول تحمل من كنوزك إلى مخادعها.

ومع هذا فتراؤك العظيم يزداد ازديادا ولا ينقص.

نعم مهما غرف الإنسان من بحر العلم الزاخر يبقى هذا الخضم مليئا ولا ينقص، فالكتاب لا تؤثر عليه كثرة القراءة فيه، بل يبقى كما هو يعطي كل من يقبل إليه بسخاء، والعقول التي تتغذى عليه تنمو في طريق المجسر وتكسب مكانة مميزة في المجتمع، وما من أحد سمع أن العلم ينضب إذا ما زاد عدد المتقدمين إليه، على العكس كلما تقدم البحث في حقول المعرفة والعلوم تفتحت آفاق جديدة لخدمة الإنسان وراحته كالعيون الرائقة التي تروي ظمأ الإنسان.

12. ثم يقول

مَعَ مَلْحَبًا هَدَانَا مَحْمُودًا مَعًا
مَلْحَمَتَنَا وَمَصْعًا مَعًا مَلْحَصًا

أجل، إن العقول لتفتني من العلم بغزارة

وهو يجزل الثراء للمساكين التابعين له.

هنا نستطيع أن نقول أن الشاعر قد تأثر في الصورة الشعرية التي أوردها سابقوه مار أفرام ومار إسحق الأنطاكي، فالمضمون والصورة متطابقان إلى درجة كبيرة.

فالفتى الحقيقي هو غني الفكر والسعادة الحقيقية ليست في كثرة المال ولكنها في الفكر الثاقب المليء بالحكمة والفهم.
13. ويرون قائلًا:

مَصِّفٌ نُهُوه حَجَجًا وَوُسْعًا بِمَلَكًا حَاهُ
هُلْحُنًا مَحْنَهُ سَلَا هَامًا حَمَجًا هَاهُ.

يضرم ناره في النفس التي تهوى التباهي به.

فتحمل منه قوة وبهاء لتنادي به

إن النار تطهر من الجراثيم ونار العلم تطهر النفس من جرثومة الجهل والتي إن أصابت شخصا أصبح ورا لا على نفسه أولا وعلى مجتمعه ثانيا بل وعلى الإنسانية جمعاء.

والنفس البشرية بحب العلم تكون قوية ومنيرة وتشع بأنوارها على المجتمع، فلا سلاح أقوى من سلاح العلم، فهو الذي يكسب الإنسان الاحترام والتقدير، إضافة إلى أن العلم يؤدي بالإنسان إلى التقدم المادي والذي هو انعكاس لقوة الإنسان النفسية والتي جاءت عن طريق تراكم الخبرة والمعرفة. ومن هذه الجولة السريعة في حديقة الشعر السرياني ترى مدى اهتمام السريان في إرساء قواعد التربية والتعليم وإسهامهم في بناء حضارة هذه الأرض خاصة ودفع عجلة التقدم الإنساني عامة.

المصادر

1. الكتاب المقدس بعهديه.
2. اللؤلؤ المنثور للبطيريك أفرام برصوم.
3. المروج النزهية للمطران يعقوب أوجين منا.
4. اللآلئ المنثورة في الأقوال المأثورة للبطيريك يعقوب الثالث.
5. الآداب السريانية قولوس كبريال وكيل البستاني.
6. عبقرية مار أفرام للخوري برصوم يوسف أيوب.

المعجم السرياني والمندائي

إن اللغة السريانية عندما كانت متداولة على ألسنة الناس لم يحتج فيها إلى معاجم ولكن اضطر مدرسو شروح الكتاب المقدس إلى وضع نقاط خاصة للتمييز بين الكلمات المتشابهة في إملائها ومختلفة في معانيها جمعت فيما بعد ورتبت مع علاماتها الفارقة في مجموعات لاستعمال الطلبة، وكانت هذه الشروح النواة الأولى للمعجم السرياني.

إن أول المعنيين بالألفاظ السريانية وغوامضها هو عنانيشوع الحديابي المتوفى سنة 659م ويقرن دوماً عمل عنانيشوع بما أضاف إليه فيما بعد حنين ابن اسحق.

وكان لحركة الترجمة المباركة التي جرت في العصر العباسي الدور الأساس في بدء تأليف المعجمات حيث أن حنين ابن اسحق العبادي المترجم الشهير المتوفى سنة 873م أضاف إلى ما قام به سابقه عنانيشوع من شرح ألفاظ وعبارات وكما أن عنانيشوع تأثر باليونانيين في وضع محاولته المعجمية الأولى، يمكننا القول أن حنيناً تأثر بالعرب في استكمال محاولته المعجمية الناجحة.

أما زكريا أبو أيوب يحيى المروزي، الطبيب البغدادي من القرن التاسع فقد أضاف إلى معجم حنين زيادات عديدة استشهد بها ابن بهلول في معجمه الشهير إلا أن هذه الزيادات كانت غير مرتبة وجاءت أحياناً مضادة لتفسير حنين، فتلافياً لهذا الخلل قام أحد تلامذة حنين وهو يشوع بن علي الطبيب فألف بناءً على طلب من الشماس إبراهيم معجماً جديداً مستخدماً في

الوقت نفسه تفاسير حنين وزكريا المروزي ويقر يشوع بن علي في مقدمة تفاسيره بأن كتابه ما يزال ناقصاً وغير متكامل.

وقام حنانيشوع بن سروشويه مطران الحيرة في نحو سنة 900م بتأليف معجم سرياني على أن ابن بهلول الذي يذكر كلاً من صفات مجموعته تفاسير من هذا المعجم يحكم في مقدمته بكونه متقناً غاية الإتقان ويعد مكملاً لمعجم حنين.

في العلوم الفلسفية واللاهوتية وشرح الكتاب المقدس، ومما يثنى عليه ابن بهلول أعظم ثناء في معجمه دقته في استشهاده بالمؤلفات التي يذكرها، وقد اختصره المفريان شمعون المانعي سنة 1742م اختصاراً لا يفي.

وكان إيليا النصيبيني الذي وضع كتاباً أسماه "كتاب الترجمان" وهو يمتاز عما سبقه من المعجمات سواء بشكله أم بدقة شروحه وأحكامها وهو معجم عربي سرياني محبوب حسب ترتيب المواد والفصول وقد طبع حديثاً ونشر في دهوك سنة 2007 بعد تحقيقه من قبل الأستاذ بنيامين حداد. وممن أزهروا في تضاعيف المئة الحادية أو الثانية عشرة قسيس فاضل اسمه أبدو كس الملطي، ألف لتلاميذه مجموعة لغوية تتضمن دروس القراءة التي كان يملئها عليهم، وضع لها نقاطاً وعلامات لضبطها وتمييزها دفعاً لمواطن الالتباس ثم جمعها وعرفت باسمه.

وهناك مجموعة من المعجمات محفوظة في المكتبات الأوروبية كمخطوطات وأكثرها لمؤلفين مجهولين، ونذكر فقط المعجمات المعروفة بأسماء مؤلفيها، مثل:

• جرجس الداني من لبنان، القرن الثامن عشر ألف معجماً سريانياً ضخماً.

• خدر الموصللي المتوفى سنة 1775 ألف وجمع معجمين وهما:

1. معدن الكنوز لكشف الرموز لكسيقون عربي - كلداني - تركي في أربعة مجلدات ضخمة، وقد بلغت الكلمات العربية المشروحة بالسريانية والتركية نحو 1340 كلمة.

2. قاموس كلداني - عربي، وضعه في روما سنة 1727م.

3. ميخائيل أزرق رئيس دير الشرفة المتوفى سنة 1886م، ألف معجماً سريانياً عربياً في مجلدين عدد الصفحات 672، 847.

وهناك مجموعة أخرى مخطوطة من المعجمات في مكاتب

مختلفة، ومنها:

1. نعوم فائق المتوفى سنة 1930م، قاموس عربي - سرياني مطول.

2. البطريرك أفرام برصوم المتوفى سنة 1957م:

أ. معجم عربي - سرياني غير كامل.

ب. ذيل لغوي على قاموس حنا محفوظان لدى الأستاذ يحيى عبدالله برصوم ابن أخي المؤلف.

3. القس يوسف عيبا المتوفى سنة 1965م شرع بتأليف معجمين كلداني - عربي و كلداني - سورث.

4. حنا زكريا بنيامين المتوفى سنة 1975م، ألف معجماً عربياً - كلدانياً هذا فيه حذو المنجد، وكان له معجم الألفاظ حسب المواد (النباتات - الحيوانات) عربي - كلداني.

5. الشماس حنا بشي من تكليف ألف معجماً عربي - كلداني - سورث، بحوالي 2200 صفحة، وقد صورها مجمع اللغة السريانية.
6. الخوري ميخائيل مراد المتوفى سنة 1952م ألف معجماً سرياني - عربي الجزء الثاني في دير مار بهنام، قسم منه مسودة وتشمل الحروف (س، ش، ص، ض) ومبيضة وتشمل الحروف (ف، ق، ل) بنوع يكاد يكون متكاملًا وقد صورهما مجمع اللغة السريانية.
- وله قاموس عربي سرياني الجزء الأول المطبوع في الموصل سنة 1952م في 744 صفحة بخط عربي في حقلين من حرف (أ حتى بداية س) ولكن مستوى الطباعة والإخراج ضعيف، هذا وقد أعاد طبعه المطران يوحنا إبراهيم مؤخرًا ضمن منشورات دار ماردين.
7. الأب جبرائيل القرداحي الحلبي اللبناني المتوفى سنة 1930م ألف معجماً سرياني - عربي - لاتيني كبير الحجم لدى البطريرك صفير. أما بالنسبة للمعاجم الحديثة والتي هي قيد الاستعمال فهي ثلاثة:
1. أولها قاموس اللباب للأب جبرائيل القرداحي وهو في جزئين طبع الجزء الأول في المطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة 1887م وهو 620 صفحة. والجزء الثاني سنة 1891م وهو 701 صفحة وبحقلين وبخط غربي - عربي، ويمتاز هذا المعجم بأنه يورد نصوصاً من الأدباء القدامى لتوضيح المعنى وزيادة في التفسير، وقد أعاد طبعه المطران يوحنا إبراهيم في حلب سنة 1994م مع ملحق وبمجلد واحد.

2. المطران توما أودو الألقوشي 1855 - 1918م معجم سرياني ضخّم أسماه كنز اللغة السريانية، وقد طبع الجزء الأول منه في 492 صفحة والثاني في 638 صفحة من القطع الكبير وذلك في مطبعة الآباء الدومنيكان في الموصل سنة 1897م بالحرف الشرقي وفي حقلين سرياني - سرياني، سرياني - عربي، مع توضيح بعض المفردات الصعبة باللغة العربية، وقد أعيد طبعه بالأفسيت في أميركا وهولندا والسويد. وحديثاً أعاد طبعه المطران كوركيس صليوا في بغداد.

3. أما المطران يعقوب أوجين منا فله معجم دليل الراغبين في لغة الآراميين وهو أكثر المعاجم المذكورة علمية وسهل المآخذ لذا فقد لاقى انتشاراً واسعاً كما أنه أشمل من جميع المعاجم المذكورة وهو المعتمد حالياً في أكثر المدارس السريانية وجامعاتها، ويمتاز عن غيره بكثرة المترادفات العربية وإدخال عدد من الكلمات الدارجة التي تحقق من أصالتها وهو في 837 صفحة، وقد طبع في سنة 1900م في مطبعة الآباء الدومنيكان بالموصل.

وقد أعاد طبعه المطران (البطريك) مار روفائيل بيداويد في بيروت 1975م مع ملحق في 133 صفحة يشمل على ألفين وخمسمائة لفظة جديدة وبإشراف لجنة متخصصة.

4. وله أيضاً معجم عربي - كلداني وقد وصل إلينا الجزء الثاني فقط (من حرف ف و ص الأخير) وهو في 28 + 852 صفحة من الحجم الكبير، بقلم المؤلف فرع منه في 24 تموز 1914م وهو

محفوظ لدى الأستاذ إبراهيم نورو المعروف بانشغالاته في حقل اللغة السريانية وقد أصدر مؤخراً كتاباً تولدوثو وهو عبارة عن كتاب في حقل تطوير اللغة السريانية مع ملاحق للكلمات المستخدمة والمصطلحات على شكل معجم وبعده لغات.

5. ولكن أوسع معجم هو المعجم الذي ألفه باين سميث والذي يقع في مجلدين ضخمين وباللغات السريانية واللاتينية واليونانية والآرامية والعبرية والعربية مع ذكر النصوص التي وردت فيها الكلمات مع مصادرها، طبع الجزء الأول في سنة 1879م في 934 صفحة عدا المقدمة في حقلين والجزء الثاني في سنة 1901م وفي 2258 صفحة عدا المقدمة في حقلين وقد أعيد طبعه في سنة 1981م ومؤلفه كان نائب مدير المكتبة الشرقية وعميد كلية اللاهوت في أكسفورد، ومعجم بروكلمان في 518 صفحة في طبعته الأولى برلين 1895م وفي 930 صفحة في طبعته الثانية 1928م وقد أعيد طبعه سنة 1965م.

6. أما الربان (المطران) جورج صليبا فله كتاب معلم اللغة السريانية جمع فيه كمية جيدة من المصطلحات الحديثة وهو ليس معجماً بالمعنى الصحيح ولكن الاستفادة فيه خصوصاً من الاشتقاقات في معظم العلوم والآداب والفنون المعاصرة ويقع في 283 صفحة ولفظ عربي للكلمة السريانية صدر في القامشلي سنة 1965م.

7. وأصدر السيد عوديشو ملكو أشيئا معجماً باللغة السريانية الدارجة (السورث) بعنوان "برعم اللغة" سنة 1997م ويحتوي على ملحق

بالمصطلحات العلمية والأدبية والفنية والاقتصادية والطبية في 110 صفحة، وتأليف هذا المعجم كان في الأصل من لجنة مؤلفة من السيد عوديشو ملكو والأستاذ بنيامين حداد والسيد يونان الهوزي، وقد حدث جدل كبير حول عائدية التأليف، كما صدر في دهوك معجم بالخط الشرقي عربي - كلداني بعنوان "الشعاع" سنة 2000م وهو من تأليف الأبوين شليمون إيشو خوشابا وعمانوئيل بيتو وقد سد فراغاً في المكتبة السريانية.

8. وظهر قاموس سرياني - هولندي من تأليف شمعون عتو طبع في

انشخدة - هولندا سنة 1968م، وآخر سرياني - تركي سنة 1988م.

9. وطبع الدكتور إسحق إبراهيم قاموساً تحت إشراف الأستاذ عبد

المسيح قره باشي دعاه "القاموس الحديث" في 292 صفحة وبخط

عربي طبع في مطبعة الرافدين - القامشلي.

10. وصدر في بغداد معجم روض الكلم تأليف الأستاذ بنيامين

حداد عربي - سرياني مع مدخل لغوي لسيادة المطران أندراوس

صنا في جزئين بلغ عدد صفحاته 1292 مع ملحق بالأعلام وذلك

عام 2005م من منشورات مركز جبرائيل دنبور الثقافي، وهو أحدث

ما صدر في بغداد وبأسلوب أكثر علمية من سابقه، حيث يعتمد

الجزر اللغوي.

11. وصدر معجم سرياني إنجليزي للخوري زكريا زيتون في

سدني _ أستراليا سنة 2007م، أسماه **ܘܚܪܘܟܘܐ** BUKHRO أي البكر،

يتكون القاموس من 1243 صفحة.

ملاحظات على أهم المعاجم المتداولة اليوم:

1. اللباب، الخط غربي، يمتاز عن غيره بإيراد النصوص السريانية من المؤلفين القدامى زيادة في إيضاح المعنى، وقد أكد المؤلف فيه على التشديد الذي فقدته اللهجة الغربية واستعار علامة التشديد من العربية وكذلك علامة السكون لعدم وجود علامة لهما في السريانية، لكنه لا يورد الكلمات القياسية الاشتقاق إلا إذا ابتعد المعنى عن الجذر.
2. كنز اللغة السريانية: يكثر من الكلمات المشتقة ويورد الكثير من الكلمات والمصطلحات اليونانية مع إيضاح معناها بالسريانية وفي حالة عدم وضوح المعنى في السريانية يعطي المعنى بالعربية، كما يورد بعض النصوص.
3. دليل الراغبين: لا يورد المشتقات القياسية إلا ما ندر أو ما كان غير مأنوس أو بعيداً عن المعنى الأصلي أي الجذر ويكثر من المترادفات وأما في تبويبه الأبجدي فهو أدق من المعاجم الأخرى.
4. كنز اللغة السريانية (باين سميث): يورد الكثير من النصوص والشواهد مع ذكر مؤلفيها والمخطوطات التي أخذت منها فهو بذلك موسوعة تاريخية إضافة إلى المعاني، كما يورد المترادفات بالعربية والآرامية والعبرية بالإضافة إلى المعنى اللاتيني، ويذكر الجذور المماتة وهو أوسع موسوعة سريانية.

أما بالنسبة للمعجم المندائي فنسوق الملاحظات الآتية:

- أ. يعد المعجم المندائي والذي يقع في 490 صفحة المرجع الوحيد في اللغة المندائية والأدب المندائي الديني الطابع.
- ب. وصفه كل من الليدي دراور وكورت ماتسوخ باللغة الإنجليزية وبالحرف اللاتيني ولم يستخدم الخط المندائي ونعتقد أن السبب في ذلك هو كون النصوص المندائية المتوفرة لديهما قليلة في وقت وضعه.
- ج. ذكر المؤلفان أن الحرف اللاتيني يلبي الحاجة وأن الكلمات المندائية يمكن كتابتها بالحرف اللاتيني وهذا في رأينا غير دقيق ولا يتفق وطبيعة اللغات السامية.
- د. يعطي المعجم أصل الكلمة في اللغات الشقيقة الأخرى مع معانيها مما يتيح المجال للمقارنة والتأصيل وهذه صفة إيجابية، إضافة إلى ذكره لجميع المصادر المندائية وغير المندائية.
- هـ. لم يتبع المؤلفان جذور الكلمات التي يوردانها مما يجعل صعوبة في الحصول على الكلمة المراد الرجوع إليها.
- و. جاءت بعض الكلمات في غير محلها حسب الترتيب الأبجدي وذلك لسقوط بعض الحروف (وبخاصة الحلقية) مما أربك المؤلفين في وضعها في المكان الصحيح.
- ز. صدر في بغداد في عام 2004م القاموس المندائي من تأليف الشيخ خلف عبد ربه لفته والمهندس خالد كامل عودة ويقع في 382 صفحة عند دار أنهر المندائية للطباعة والنشر وهي بثلاث لغات المندائية مع اللفظ باللغة العربية والعربية والإنجليزية، وهو أول عمل يقوم به

مؤلفان من أبناء الطائفة وبالخط المندائي وهذه بادرة جيدة على سبيل
تعليم اللغة المندائية.

ح. إن ما يمتاز به هذا القاموس هو أنه استعمل السرد الأبجدي مما
يسهل على القارئ الرجوع إلى الكلمة.

المقارنة بين منهجية المعجم السرياني والمندائي:

1. المعجم السرياني يعتمد على الفعل كأساس في بناء المعجم وترتيبه
في حين لم يلجأ واضعا المعجم المندائي إلى هذا الأسلوب.
2. المعجم السرياني جعل المفتاح باللغة السريانية (الخط السرياني)
وأخذ الأصل ولم يذكر المشتقات القياسية إلا ما ندر أو ما كان غير
مأنوس أو بعيداً عن المعنى الأصلي، وهذا غير موجود في المعجم
المندائي إذ في بعض الأحيان يأخذ الاسم عوض الجذر الفعلي.
3. المعجم السرياني أوسع من المعجم المندائي من حيث عدد الأصول
والكلمات ولكنهما ليسا في وسع المعجم العربي وغناه.

وكخلاصة نستنتج ما يأتي:

1. ليس هناك معاجم متخصصة كما في العربية حيث المعاجم الطبية
والعلمية والهندسية والبلاغية والزراعية والاقتصادية والفنية وغيرها
وعلينا العمل على نشر هكذا معاجم كما فعل الأستاذ بنيامين حداد في
معجمه الفردوس الخاص بالنبات والذي صدر في اربيل سنة
2007م.

2. لم يجر مسح شامل للتراث من قبل مؤلفي المعاجم، فإن معجم دليل الراغبين وهو أحدث المعاجم وأشملها بلغت مصادره (66) مصدراً ولا يعقل أن تكون هذه المصادر حاوية كل التراث السرياني، فإذا أردنا أن نقوم بوضع معجم حديث يجب أن نستفيد من المعجم العربي وبقية اللغات السامية الشقيقة بل وحتى اللهجات المحكية لإغناء هذا المعجم كما فعل العرب عند وضع معجماتهم.

3. نقترح أن يكون الحرف الذي يطبع فيه المعجم موحداً لأن طبع المعجم بخط شرقي أو غربي لن يفيد كثيراً وإنما يجب العمل على توحيد الخط في كتب اللغة خصوصاً وهذه مهمة هيئة اللغة السريانية في المجمع العلمي العراقي.

المصادر

1. الحسن ابن بهلول، القاموس.
2. باين سميث، الكنز السرياني.
3. توما أودو، كنز اللغة السريانية.
4. جبرائيل القرداحي، اللباب.
5. يعقوب أوجين منا، دليل الراغبين في لغة الآراميين.
6. ليدي دراور وكورت ماتسوخ، المعجم المندائي.
7. البطريرك أغناطيوس أفرام برصوم، اللؤلؤ المنثور.
8. الأب ألبير أبونا، أدب اللغة الآرامية.
9. بنيامين حداد، روض الكلم.
10. الأب شليمون إيشو خوشابا والأب عمانوئيل بيتو يوخنا، زهريرا.

حركة الترجمة الطبية في العصر العباسي

المقدمة

عرف العراقيون بالمستوى الطبي المرموق إبان الحضارتين البابلية والآشورية وقد ورث السريان هذا الإرث الحضاري إضافة إلى ما اكتسبوه من الطب الإغريقي بحكم اختلاطهم في المدارس التي أنشأوها حيث بلغت المدارس في عصرهم الذهبي ما يقارب خمسين مدرسة تدرس فيها مختلف العلوم والفنون إضافة إلى الفلسفة والطب، ولما جاء العرب وكان كلفهم شديداً بالعلم والمعرفة وبناء الأمة العربية على أسس علمية سليمة، وجدوا في أبناء عموماتهم السريان خير معين للوصول إلى هذا الهدف، لذا شمر السريان عن ساعد الجد لأداء هذه الخدمة الإنسانية في تعريب وترجمة وتأليف الكتب النفيسة من مختلف اللغات اللواتي كانوا يجيدونها وتركوا تراثاً ضخماً أصبح بعدئذ الأساس في بناء الحضارة العربية يدا بيد مع إخوانهم العرب ومن بعدهم للإنسانية جمعاء، بل عادت أوربا لتبني على أساس ما بناه السريان والعرب نهضتها بعد أن كانت في ظلمات العصور الوسطى.

قد ذكر ابن العبري وابن أبي أصيبعة في كتاب طبقات الأطباء: "ولذلك العلماء نحو علم الطب وكتبوا فيه المصنفات الكثيرة مدة عشرة قرون وقد بلغ عدد الأطباء الذين اشتهروا من السريان الغربيين أقل من السريان الشرقيين"¹.

¹ حركة الترجمة والنقل في العصر العباسي ص 85.

وقد أحصى البطريرك أفرام برصوم في اللؤلؤ المنثور سبعة عشر طبيا، والأب الدكتور شحاتة قنواني سبعة وثمانين طبيا وصيدلانيا في كتابه "المسيحية والحضارة العربية"، أما الأستاذ موسى زغلول فقد ذكر في كتابه "حركة الترجمة والنقل في العصر العباسي" تسعة وعشرين طبيا وصيدلانيا. والترجمة عملية تهدف إلى الكلمة الأكثر مطابقة للكلمة المراد ترجمتها، إن من حيث المعنى أو من حيث الأسلوب وهذا ما دعى المترجمين إلى إعادة النظر في ترجماتهم.

والترجمة تكون عادة بإحدى طريقتين: الترجمة الحرفية والمعروفة بطريقة ابن البطريق (سعيد ابن البطريق 877 - 940م) ومثل هذه الطريقة تلتزم الحرف دون المعنى فتكون على حساب الوضوح والدقة أي أنها تأخذ بظاهر النص وكل كلمة بحسب معناها القاموسي، فمثل هذه الترجمة تكون غير مصاغة لأنها آلية وغير حية.²

والطريقة الثانية وهي الفضلى وتقوم على تمثل المعنى الحقيقي ثم أدائه بتعبير سلس ودقة علمية متحاشية الغموض ومتجنبية التحوير وهذه طريقة حنين.³

وامتاز السريان بوفرة ترجماتهم وسعة مساهماتهم سواء ما ترجموه إلى لغتهم من الإغريقية (اليونانية) أو منها إلى اللغة العربية مع توشي الدقة والأمانة رغم الصعوبات والمشاكل التي جابهتهم، كما ساعدت اللغة العربية

² حركة الترجمة والنقل في العصر العباسي ص 127.

³ مهرجان أفرام حنين ص 313.

بمرونتها وسيادتها في أن تلعب الترجمة إليها دورها الهام كعامل حضاري ولها يعود الفضل الذي لا ينسى في إحياء العلوم التي طواها النسيان.⁴
ندرس هنا ثلاثة أطباء فقط تركوا بصماتهم واضحة على حركة الترجمة وذلك كي لا نطيل:

يوحنا ابن ماسويه (857م - 243هـ)

كان طبيبا ذكيا فائلا خبيرا في صناعة الطب وله كلام حسن وتصانيف مشهورة، وولاه الرشيد ترجمة الكتب الطبية القديمة لما وجدها بأنقرة وعمورية وسائر بلاد الروم حين افتتحها المسلمون ووصفه أمينا على الترجمة وخدم هارون والأمين والمأمون وبقي إلى أيام المتوكل وكان له تلاميذ يقرأون عليه كتب المنطق وكتب جالينوس ومن مؤلفاته:-

كتاب البرهان

البصيرة

الكمال والتمام

كتاب الحميات

الأغذية

الأشربة

المنهج في الصفات والعلاج

القصد والحي

كتاب في الجذام لم يسبقه أحد إلى مثله

⁴ مهرجان أفرام حين ص 45.

الجواهر الرحمن
تركيب الأدوية المسهلة وإصلاحها وخصه كل دواء ومنفعته.
رفع مضار الأغذية
كتاب في غير ما شيء مما عجز غيره
كتاب السر الكامل
السموم وعلاجها
كتاب في دخول الحمام ومنافعها ومضارها
الطبيخ
الصداع وعلله وأجاءه
كتاب السدر والدوار
كتاب لما امتنع عن علاج الحوامل في بعض شهور حملهن
محنة الطبيب
معرفة محنة الكماليين
دغل العين
مجسة العروق
الصوت والبعة
ماء الشعير
المرأة السوداء
علاج النساء اللواتي لا يجبلن
الجنين
تدبير الأصحاء

السواك والسنونات

المعدة

القولنج

نوادير الطبية

التشريح

كتاب في ترتيب سقي الأدوية المسهلة بحسب الأمزجة والأرمنة
كتاب تركيب خلق الإنسان وأجزائه وعدد أعضائه ومفاصله وعروقه ومعرفة
أسباب الأوجاع ألفه المأمون
كتاب الإبدال حنين ابن إسحق
كتاب الجامع في الطب⁵

حنين ابن إسحق (809 - 873 م / 194 - 260 هـ)

يقول المستشرق الشهير لوكلير في كتابه عن الطب العربي: "يعد حنين أقوى شخصية أنجبها القرن التاسع بل من أشد رجال التاريخ ذكاء وأحسنهم خلقاً، فنطاق أبحاثه لشاسع الأطراف واختلاف أنواعها وامتيازها وأهميتها، والمحن التي تحملها بشجاعة ونبل في بدء حياته العلمية وفي أثنائها لما يبعث على الاهتمام ويجذب إليه القلوب وهو وإن لم يكن باعث النهضة في الشرق إلا أن أحداً لم يشارك في تلك النهضة مشاركة فعالة راسخة ومثمرة كما فعل حنين".

⁵ تاريخ مختصر الدول ص 131، حركة الترجمة ص 97، المسيحية والحضارة العربية ص 156.

وقد بدأ حنين الترجمة والتعريب حين كان في السابعة من عمره وأبدع بعد ذلك وفاق جميع المترجمين والمعربين وتنبأ له جبرائيل بمستقبل باهر حين قال له بأنه "سيفضح الذين ترجموا قبله ويتسقط زلاتهم"، وشهد له يوحنا بن ماسويه حين قرأ بعضاً من الكتب والنصوص التي مر بها بقوله: "ليس هذا الإخراج إلا إخراج مؤيد بروح القدس".⁶

وقد أجاد السريانية والعربية والفارسية واليونانية وقد كان حنين حريصاً على تأدية المعنى بدقة، فاهما مقتضيات النشر العلمي ووجوب الرجوع إلى أحسن المخطوطات ومراجعة الترجمات السابقة للكتاب المعرب وتقسيم العمل بين عدة أشخاص فواحد يترجم من اليونانية إلى السريانية وآخر من السريانية إلى العربية وثالث يراجع النصوص منقحاً، وبجانب ترجمته لكتب جالينوس، نقل حنين إلى العربية عدداً من كتب أبقراط.⁷

مؤلفاته

كتاب المسائل: وهو المدخل إلى صناعة الطب لأنه قد جمع فيه جملاً وجوامع تجري مجرى المبادئ الأوائل لهذا العلم.

كتاب العشر مقالات في العين: وقد نشر هذا الكتاب الفريد الدكتور مايرهوف نشرة علمية وقدم لها مطولاً وترجمه إلى الإنجليزية سنة 1928م.

كتاب المسائل في العين: اختصار الست عشرة لجالينوس ومحرر على طريقة السؤال والجواب ألفه لولديه داؤد وإسحق وهو مئتان وتسع مسائل وقد

⁶ شمس آرام شمس العرب ص 263

⁷ حركة الترجمة ص 132، المسيحية والحضارة العربية ص 159، شمس آرام شمس العرب ص 263

نشره الأب سباط والدكتور مايرهوف بالقاهرة سنة 1938م، وقدم له وترجماه إلى الفرنسية.

كتاب الترياق

تفسير كتاب الصناعة الصغيرة لجالينوس (المدخل) والذي ترجم إلى اللاتينية تحت عنوان (Isngogc Jalannotis).

اختصار كتاب جالينوس في الأدوية المفردة: إحدى عشرة مقالة.
مقالة في ذكر ما ترجم من كتب جالينوس وبعض ما لم يترجم كتبها إلى علي بن يحيى المنجم.

مقالة في ثبت الكتب التي لم يذكرها جالينوس في فهرست كتبه.
ثمار كتاب أبقراط في المولودين لثمانية أشهر.

كتاب في النبض.

كتاب في الحميات.

كتاب في البول.

كتاب في معرفة أوجاع المعدة.

كتاب في امتحان الأطباء.

كتاب في طبائع الأغذية.

كتاب في تدبير الأصحاء.

كتاب في تشريح آلات الغذاء.

كتاب في تركيب العين.

كتاب في حفظ الأسنان.

كتاب في تسمية الأعضاء على ما رتبها جالينوس.

أجمل مقالة جالينوس في أصناف القوط الخارج عن الطبيعة.
هذا وقد بلغ مجمل ما ترجمه حنين إلى السريانية خمسة وتسعون
كتابا وترجم إلى العربية منها تسعة وثلاثون، هذا بالإضافة إلى مراجعة
ترجمة تلاميذه فأصلح ستة كتب مما نقل إلى السريانية ونحو من سبعين
كتابا إلى العربية كما راجع وأصلح معظم الكتب التي كان قد ترجمها إلى
السريانية سرجيس الراسعيني وأيوب الرهاوي وغيرهما من الأطباء الذين
سبقوه.

قسطا بن لوقا البعلبي (912م)

إنه مسيحي سرياني، طبيب حاذق نبيل، فيلسوف، مترجم عالم
بالهندسة والحساب وكان في أيام المقتدر بالله. قال عنه ابن العبري: "كان
جيد النقل فصيحاً باللسان اليوناني والسرياني وأصلح نقولا كثيرة، وله رسالة
كثيرة في الطب وغيرها، وكان حسن العبارة جيد القريحة".⁸

مؤلفاته:

كتاب الدم.

كتاب البلغم.

كتاب الصفراء.

كتاب السوداء.

كتاب السهر.

⁸ تاريخ مختصر الدول ص 149

كتاب علة موت الفجأة.
كتاب معرفة الحذر وعلاجه.
كتاب في القوة والضعف.
كتاب في الأغذية.
كتاب في النبض.
كتاب في الأخلط الأربعة وما تشترك فيه مختصر.
كتاب في الكبر وخلقتها وما يعرض فيها من أمراض.
كتاب في مراتب قراءة الكتب الطبية.
كتاب في تدبير الأبدان.
كتاب في وقع ضرر السموم.
كتاب في الاستدلال بالنظر إلى أصناف البول.
كتاب في أوجاع النقرس.
كتاب جامع في الدخول إلى علم الطب.
كتاب في النبض معرفة الحميات.
كتاب في عضد.
رسالة في الخضاب.⁹
ويمكن إجمال الكتب التي ترجمت إلى السريانية ومنها إلى اللغة العربية
أو إلى العربية مباشرة:
كتب أبقراط:

⁹ حركة الترجمة والنقل ص 137/ المسيحية والحضارة العربية ص 173

كتاب عهد أبقرط بتفسير جالينوس ترجمة حنين إلى السريانية وترجمة حبيش وعيسى بن يحيى إلى العربية.

كتاب الفصول تفسير جالينوس ترجمة حنين إلى العربية.

كتاب مقدمة المعرفة بتفسير جالينوس ترجم النص حنين إلى العربية.

كتاب الأمراض الحادة بتفسير جالينوس وهو من مقالات ترجم إلى العربية عيسى بن يحيى ثلاث مقالات.

كتاب الكسر بتفسير جالينوس ترجمه حنين إلى العربية.

كتاب أيديميا بتفسير جالينوس ترجمه عيسى بن يحيى: ثماني مقالات إلى العربية.

كتاب الأخلاط بتفسير جالينوس: ثلاث مقالات نقلها عيسى بن يحيى إلى العربية.

كتاب الماء والهواء بتفسير جالينوس: ثلاث مقالات ترجم حنين النص إلى العربية والتفسير حبيش.

كتاب طبيعة الإنسان بتفسير جالينوس: ثلاث مقالات ترجم حنين النص إلى العربية والتفسير عيسى بن يحيى.

كتب جالينوس: (الكتب الستة عشر التي يقرأها المنظييون)

كتاب الفرق: نقل حنين مقالة.

كتاب الصناعة: نقل حنين مقالة.

كتاب إلى طوثرن في النبض: نقل حنين مقالة.

كتاب إلى أغلوثن في التأي للشفاء: نقل حنين مقالتين.

كتاب المقالات الخمس في التشريح: نقل حنين.
كتاب الاسطقصات: نقل حنين.
كتاب المزاج: نقل حنين.
كتاب القوس الطبيعية: نقل حنين ثلاث مقالات.
كتاب العلل والأمراض: نقل حنين ست مقالات.
كتاب النبض الكبير: نقل حنين ست عشرة مقالة أربعة أيام ونقل حنين مقالة إلى العربية.
كتاب الحميات: نقل حنين مقالتين.
كتاب البحران: نقل حنين ثلاث مقالات.
كتاب أيام البحران: نقل حنين ثلاث مقالات.
كتاب تدبير الأصحاء: نقل حبيش ست مقالات.
كتاب حيلة البئر: نقل حبيش إلى العربية وأصلح حنين الست الأول والكتاب أربع عشرة مقالة وأصلح الثمانية الأواخر محمد بن موسى.

الكتب الخارجة عن الستة عشر: (لجالينوس)
كتاب التشريح الكبير: خمس عشرة مقالة لم يذكر حنين في فهرسته من نقله إلى العربية.
كتاب اختلاف التشريح: نقل حبيش إلى العربية مقالتان.
كتاب علم أبقراط بالتشريح: نقل حبيش إلى العربية ثلاث مقالات.
كتاب أرسطو طاليس في التشريح: نقل حبيش ثلاث مقالات.
كتاب تشريح الرحم: نقل حبيش إلى العربية مقالة.

كتاب حركات الصدر والرئة: نقل اصطف بن باسيل وإصلاح حنين
ثلاث مقالات.

كتاب علل النفس: نقل اصطف بن باسيل وإصلاح حنين لولده مقالتان.

كتاب حركة الفصل: نقل اصطف بن باسيل وأصلاح حنين مقالتان.

كتاب الحاجة إلى النبض: نقل حبيش مقالة.

كتاب منافع الأعضاء: نقل حبيش وإصلاح حنين سبع عشرة مقالة.

كتاب الأدوية المفردة: ترجمة حنين إحدى عشرة مقالة.

المني: نقل حبيش مقالتان.

المولود لسبعة أشهر: ترجمة حنين.

محنة الطبيب: نقل حبيش مقالة.

تركيب الأدوية: نقل حبيش سبع عشرة مقالة.

هذا بالإضافة إلى ما نقله أيوب الأبرش الرهاوي حيث قال عنه ابن

أبي أصيبعة: "ما نقله في آخر عمره يضاهي نقل حنين"، فقد نقل من كتب
جالينوس الطبية (35) كتاباً.¹⁰

وبهذا العمل استطاع السريان والعرب إنقاذ تراث الحضارة اليونانية
والرومانية من الضياع ولم يكتفوا بنقله فحسب، بل كانوا أصحاب مبدأ علمي
وأمانة وأضافوا من عندهم الكثير من الكتب والمقولات معتمدين على
الملاحظة الموضوعية ومنطقية المنهج العلمي في البحث.

¹⁰ شمس آرام شمس العرب ص 269

المصادر

1. موسى يونان غزال، حركة الترجمة والنقل في العصر العباسي، بيروت، 1973م.
2. مهرجان أفرام حنين، بغداد، 1974م.
3. ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، بيروت، بدون تاريخ.
4. الأب الدكتور جورج شحاتة قنواني، المسيحية والحضارة العربية، بيروت، 1984م.
5. عبد الهادي نصري، شمس آرام شمس العرب، حلب، 1986م.
6. البطريرك أفرام برصوم، اللؤلؤ المنثور في العلوم والآداب السريانية، بغداد، 1976م.

نظرة في سيرة الملفان مار أفرام السرياني شاعراً مُنْتَهَى كَفِّمْ صَهْؤُسا كُؤْمَهُؤا هَه

حياته

ولد في نصيبين سنة 306م وتوفي في الرها سنة 373م. درّس في جامعة نصيبين 38 سنة، وعندما رحل إلى الرها سنة 363م إثر استيلاء الفرس على مدينته وسّع مدرستها، وعمل في التدريس فيها 10 سنوات.

الغاية

منحته الكنيسة ألقاباً كثيرة وهو جدير بها، منها كنارة الروح القدس، نبي السريان وشمسهم، أمير شعرائهم المطبوعين. وطوّب أخيراً من قبل قداسة البابا بندكتس الخامس عشر باعتباره ملفان الكنيسة الجامعة. أقول أنشد فأطرب ونبضت بمحبته القلوب، ونظم القصائد العصماء وعشقتها وهامت بها النفوس، وحلّق في سماء الروح كالنسر فأخذنا على جناحيه مفتونين بما جاء به من عالم الروح، وغاص في أعماق الكتاب المقدس فخلف لنا إرثاً نفاخر به الدنيا، ذلك هو أفرامنا العظيم.

الصفات العامة لشعره

1. شاعريته ملتبهة، ونفسه مديد، ورقته ساحرة.
2. لغته صافية نقية قلما تجد فيها للدخيل والغريب مكاناً.

3. جملة رصينة ومنمقة ومحبوكة بكل دقة وعفوية.
4. ألفاظه جزلة وقدرته فائقة على التوليد والتجديد.
5. صورته الشعرية رائعة وجريئة وملونة زاهية وللطبيعة دور كبير فيها.
6. بحوره الشعرية كثيرة ومتنوعة ولئن عرف بالبحر السباعي الذي ابتكره خصوصاً في أناشيده.
7. أوزانه متعددة كالبسيط والمركب والمضاعف والأبجدي.
8. محبته لوطنه عميقة وصادقة وواضحة خصوصاً في قصائده المعروفة بالنصيبينية.
9. أغراضه الشعرية متعددة بل لا يمكن حصرها. فقد كتب في الإلهيات وسير الآباء والمديح ورتاء النفس الخاطئة وهجاء أهل البدع والنصح والتأديب والمحبة والحكمة والوصف. وللطبيعة مكان بارز فيها خصوصاً في أناشيد الفردوس.
10. رغم بساطة جملة وسهولتها للوهلة الأولى إلا أنها تحمل الكثير من المعاني والتأويلات والعمق فهو الجامع لكثير من المعاني في قليل من الألفاظ.
11. فنه يأسر القارئ ويجعله يتابع قراءة قصائده وأناشيده وموشحاته صاغراً فهو كالماء القراح لمن قتله الظمأ، فلا مندوحة لديه إلا الشرب من هذا النبع النقي والارتواء من مائه السلسبيل.
12. عرف مار أفرام القافية وأجاد فيها. وقد استعملها في بعض من طلباته وأناشيده.

13. يستعمل المناظرة في أناشيده. وفي هذا صدى للأدب النهريني القديم حيث قد وصل لنا هكذا مناظرات من السومرية على الألواح المكتوبة قبل أكثر من أربعة آلاف سنة مثل المناظرة بين الصيف والشتاء والطير والسماك، وكذلك هنالك مناظرات مشابهة باللغة الأكديّة.

والآن فلنحاول النزول إلى هذا اليم العميق ولئن كانت السباحة فيه غير سهلة، ولكن لا بأس من المحاولة علنا نجمع بعضاً من لآلئه الغالية.

1. قلنا إنه استعمل الكثير من الأوزان في نظمه منها مثلاً الأبجدي

مَعَسْأُ، هَسْأُ. والذي يتألف من جمل منمقة، أي مثل جمل بسيطة ومركبة. ويقسم إلى قسمين، المحدود بالجمل العددية، وغير المحدود.

أما المحدود، فيميز ويعرف بمكان الجمل الكبيرة والصغيرة، البسيطة والمركبة، ومنها ما يأخذ مكاناً وتحدد بالعدد، فتؤلف الأناشيد وبقية الألحان المقسمة إلى أبيات، كقوله:

هذا الشهر الحامل كل
الأفراح
حرية العبيد، فخر الأحرار
زينة الأبواب بهرجة الأجساد
ويحل بمحبته الأرجوان
كأن على الملوك

هُنَّ نَسَا. وَهَمَّ كَكِه. كَلَا سَيَّهْإِ.
سَهُو حَجَّأ، سَهُو سَأَوَا
كَهَكَلَا لَأَوَحَا، فَهَمَّ فَجَّأ
أَفْ أَوَّهْنَا، هُنَا حَسَّه

أَمْ وَحَلًّا مَلَكًا

فبدايته ونهايته على وتيرة واحدة.¹¹

2. استعمل الوزن المضاعف مَعْمَسًا حَصْعًا، وهو ما قطع بوسط العنصر، إما بنقطة أو بمعنى. ويتركب من عنصرين متساويين، ويربط بحروف متجانسة في النهاية. وبهذا يتميز عن البسيط¹²، كقوله:

حَسِبْ مَحْ مَهْمَتِي. مَذْنُوبًا. عَمَلًا
أخذت مرجانة في أحد الأيام
رأيت فيها أسرار الملكوت
أَسْت

سَاءَ دُهُ لِقَوْلِ. حَتَّ مَلَكُهُ لِمَعْقَلًا
رموزاً وأيقونات
تلك العظمة. وأصبحت
معيناً وشربت منه أسرار
هَلْهَقَمًا

وَهُ. وَحَلًّا. هَهُ كُهُ حَصْبًا. هَلْهَلًا الابن.
مَلَك

لِقَوْلِهِ وَحَلًّا¹³

¹¹الشعر عند السريان، ص 22، 23

¹²الشعر عند السريان، ص 20

¹³المروج النزهية، ج 1، ص 41

3. استعماله الكثير من المحاسن اللفظية مَهْفَا قَبَا قَكَا كَبَاء الأبيات الشعرية، أو القصيدة على الحروف الأبجدية بالتسلسل كقوله في أنشودة العالم:-

أ. كَمَحَ أَسَه؛ حُ حُلْمَا وَمَلَا حُقُيَا وَجَجَدَه نَجَلًا مَلَا سَهْوَ.
د. حَتَعُ لُتَصُيَا وَوَحَا حَا صَعَلُيَا وَحَصَوَا سَتَا سَكَلَه
أَنَم.

و. نَجَلَاتَ هَلَا وَنَجَعَا هَمَا وَنَجَعَا مَهَجَلَاتَ وَأَعَمَا مَنَمًا وَأَلَا
فَهْوَ.

و. وَأَلَا نَجَحَا سَمَمًا وَأَلَا حَرِحَاتَ سَمَمَاتَ وَكَمَ مَدَمَ مَلَمًا وَمَمًا
كُ¹⁴.

وترجمتها:

- أ. كيف أتفرس بك أيها العالم المملوء بالهموم وحبك يملأه الغدر.
- ب. ما أشر الطعم الذي زرعتَه فيّ بسلطانك إذ خلطت حياتي بالمرارة.
- ج. سرقتني دون أن أشعر وعندما شعرت أسرعرت لأنجو منك دون انفصال.
- د. دون أن أعرف نظرت بدون إرادة، أريبتني أن لا شيء أفضل من أن أقتنيك.

¹⁴ الأناشيد المختارة، ص 115

إنه يجول في هذه القصيدة في عالم الحكمة فيصور لنا بطلان العالم وغش أمجاده، وإن من يقع في شرك محبته صعب عليه أن يفلت منها، ولا فائدة مرجوة منه، حيث أن جماله باطل وطعمه مخلوط بالمرارة. فكيف يقول البعض إن ملفاننا لم يعرف الحكمة؟

4. من محاسنه اللفظية أيضاً وضع الحرف نفسه في بدء كل دعامة كقوله:
وَهَا هِيَ وَحُبِّي. وَمَا هِيَ إِلَّا كَمَا. وَهَيْئًا حَبْلًا مَهْمَّتِي. وَبِعَمَلِهِ
عَمَّا. وَكَلَامًا. وَبِهِ وَاجِبِي.¹⁵

والترجمة: يشقى ضميرنا، ويشبه الشجرة المحتاجة، كل يوم إلى أن تسقى. فلنشكرنك على الأقل.

وهنا يستعمل الوزن الأبجدي حيث الجمل المنمقة والبسيطة، والمركبة.

5. ومن محاسنه اللفظية استعماله الجناس **بصهأ**، وهو أن يأتي بالكلمة نفسها، ولكن بمعنيين مختلفين كما في المثال الآتي:

وَلَا مَحْ أَلَوْهَ هَسَدَ هَعَا حَجِيهَ كَلَا أُمْدَا حَبُّالَا:
هَيَّ وَهَعْدَا وَلَا عَنَا لِحْتَا وَحَجِيهَ كَلَا أُمْدَا حَبُّالَا.

حيث أن الفعل **هَعَا** في البيت الأول يأتي بمعنى حلّ أو سكن، بينما في البيت الثاني، بمعنى فاكّ، مزق، افترع.

¹⁵ الشعر عند السريان، ص 66، 67

6. ومن محاسنه اللفظية استعماله الدعاء **حَدَّأُ**: وهو طلب الخير أو الشر.

لكن مار أفرام يستعمل النوع الأول، أي طلب الخير. حيث نسمعه يقول:

هَجَّ كَمَا مَدَّتَ وَجِبَّ هُمَّوْ؛ إِيَّا
حَدَّأُكُمُ أَمَّهْمُ مَهْ وَمَهْمُ

هَيْ هَيْ هَيْ هَجَّ وَصَوَّ إِيَّا كَمَا
وَلَا سَهَّأُ لَاهَا هَهَّأُ هَهَّأُ¹⁶

والترجمة: هبني اللهم عندما أكون ساهراً، أن أفأف أمامك بيقظة

وإذا ما غلبني النوم، فلا يكن نوم الخطيئة

7. ومن تفننه المقابلة الرمزية **فَهَسُّعَا** **لُهِفَّصَّعَا**: وهو بارع في هذا

الأسلوب، فنراه مثلاً يقابل بين حواء الأولى والسيدة مريم العذراء حواء

الجديدة، إذ يقول:

لُوقَامِ حَنَّتُجَا
لُوقَامِ فَعَّتُجَا

مَدَّعِرُ أَوْ سَهَّا
لُلهفَّصَّعَا حَهَّسَّعَا

سِيَّا حَكَّأُ وَصَهَّأُ
إِسْنَأُ وَسَهَّأُ¹⁷

والترجمة: ساذجتان، بسيطتان

مريم وحواء وضعتا بالمقارنة

الواحدة علة موتنا والأخرى حياتنا

8. ومن محاسنه الشعرية وتفننه التكرار كما في المثال التالي من قصيدته

حميم إيمانه.

¹⁶ الشعر عند السريان، ص 64

¹⁷ مهرجان أفرام حنين، ص 123

هَلَا وَصَلَا حَلَا هُنَا	لَا وَسَلَا حَلَا هُنَا
هَوَات فَكَلَا وَجَتَا	هَلَا فَهَمَا وَأَمَّا كَلَا
هَلَايَا حَيَّةً أَمَّا	هَلَا يَهَّ أَجَبَهُ مَهَّوَا
هَلَا سَلَا وَجَدَ فَمَا	هَلَا أَمَّا وَصَلَا وَهَمَا
هَلَا سَلَا هَرَجْنَا	لَا فَهَدَا لَكَلَا وَنَهَا
وَجُنَا كَلَمًا	هَلَا لَكَلَا مَهَمًا حَجَّتَا

حيث نراه يكرر الكلمة في بدء الصدر حيث قد استعمل لا النافية، بينما نراه يستعمل حرف الواو في بدء العجز، وكل بعفوية ظاهرة، ودونما تكلف.

9. ومن فنه في التكرار بدء الصدر بأداة الشرط "أ"، يليها فعل الشرط، ويجعل جواب الشرط في نهاية العجز، دليل انقياد اللغة طواعية كما في الأبيات التالية من القصيدة ذاتها "إيمانه الحميم".

مَنْ مَعَ حَيَّةٍ لَأَسْهَلَتَ	أَيُّ كَهْ وَحَدَّ لَأَجَا حَيَّسَتَ
مَعَ أَجَا هَجَا بَهَسَتَ	هَيُّ حَيُّوَا وَهَمَا وَهَمَّوَا
حَسَّوَجَا وَحَجَّ أَمَّوَا	أَيُّ كَهْ أَمَّوَا وَأَمَّنَا أَمَّوَا
حَيَّسَمَا وَنَهَا أَمَّوَا ¹⁸	أَيُّ أَمَّنَا حَا مَهَمَّمَا

¹⁸الأدب السريانية، ص 164

10. استعماله المطابقة كُسمهْجُلًا، وهي من الأنواع التي تفيد العبقرية والعلم وتعني جمع الضدين، كقوله:

سَمْعًا لِأَعْلَى لَأُصْغِرَ
هَؤُلَاءِ حَمَلًا مَهْمًا
مَعْبَلًا لَأَعْلَى لَأُصْغِرَ
هَؤُلَاءِ وَصَمَّ حَمَلًا سَجَه

والترجمة: الحكيم لا يبغض أحداً
والجاهل لا يحب أحداً
وإن أبغض فالجاهل
وإن أحب فالجاهل صاحبه

هي صورة جميلة وتعكس واقع الحياة، حيث أن شبيه الشيء منجذب إليه. ومار أفرام هو مَنْ خبر الحياة خلال مدة تعليمه الطويلة في نصيبين والرها حيث تربو المدة التي قضاها في التعليم عن أربعين سنة، فجاءت والحالة هذه قصائده مفعمة بالحكمة ونتيجة خبرته الطويلة هذه.

نلاحظ أيضاً استعماله الفعل الذي ينتهي به الصدر كفعل شرط في بداية عجز البيت. حيث نراه في البيت الأول يستعمل لا النافية يليها الفعل في حالة الحاضر لَأُصْغِرَ. ويبدأ العجز بنفس الفعل مسبوقة بأداة الشرط هَؤُلَاءِ. ونفس الشيء عمله في البيت الثاني حيث ينتهي الصدر لَأُصْغِرَ، ويبدأ العجز ب هَؤُلَاءِ وَصَمَّ. دليل توشيته شعره بجمال النظم وجيد السبك.

9. ومن تفننه استعمال القسم مَهْمًا في بدء القصيدة كما في قصيدته عن الحلم الذي رآه في صغره، حيث يقول:

سَتَّعَمَ وَلَا مَهْمًا لَأُكْذِبَ
هَهُنَا مَهْمًا وَأَمَدًا لَأُكْذِبَ

بحياتكم لا أكذب في هذا الذي أقول

وهنا نراه قد استعمل ضمير المتكلم المنفصل المفرد **أنا** في نهاية الصدر والعجز

10. ومن محاسنه المعنوية **هفتا هفتا كَمَا** استعماله الاستفهام **معاكبه**، كقوله في مناغاة مريم العذراء:

أَمْ أَفَلَسَ مَعَهُ سَكُّا حُبِّ مَعَهُ
أَمْ لِمَا لَمْ يَأْتِ مَدَاهُ حُبِّ أُمَّيْ كَلَّا مَعَ قُدُّوهُ
أَمْ لِمَا لَمْ يَأْتِ رُبِّ حَارُوهُ أَمْ حَتَّى أَكْفَا

فنرى أن الأبيات الثلاثة تبدأ بأداة الاستفهام مجزومة، وفي هذه المناغاة يبين مدى حرص العذراء في التعامل مع هذا المولود الإلهي الذي حير بسرّ العقول، فهو طفل يرضع ومنه تشع الأنوار.

قلنا إن أغراضه متعددة، فلندرس الآن بعضاً من هذه الأغراض.
1. الوصف: فله في وصف فردوس عدن قصائد جميلة وقد صارت مصدراً للكثير من الأدباء الذين تلوهم فحذوا حذوه في النظم على غرارهِ نأخذ من إحداها هذه الأبيات:

مَعَهُ سَأُ مَعْمُجَا. حَحَّه وَكُلَا. هَفَاؤَا مِمُّم كَتَا. هَبِّنَّ وَجَلَا
لُحَصَّتْ. هَبِّ سَبِّ حَهْه مَعَا. مَنَحَّ حَفَه وَهَمَا. فَاؤَا حَمَّجَه كَلَا
هَمَعَلَا.

حَمِيْدًا لِّمَلَأَ. هُوَ قَا حَجَبُفَا. رَا اِيَهْ وَا سَعْن. وَمُنَهْ حَبَا
حَلَن.

صَمَّجِبْ أُتْكُنَا. حَاوْ مَرِّ كَلَا. فَقَسَا لِسْمَا سَمَهْ. حَلَا مَسَمَهْ
فَاوَا. مَمَّسَهْ، وُتْحُنَا. اُوْحَمَهْ، وِهْحَا. مِّنْهْ عَمْدَهْ مَمَّسَاهِمَ اَهْ
سَا حُنَا، وَحَا وَهْمَا. مَحَلَا، وُتْحُنَا. هَسَا لِسْمَهْ وَكَلَا. كَبْ
فَنَهْ، وِهْحَا.¹⁹

والتريمة:

من رأى مادية في قلب الشجرة، والثمار في متناول الأيدي، منسودة
من كل صنف، بترتيب وانتظام، تقدم بتميز، الفاكهة للأكل والشرب، والندى
للغسل. والأوراق للتنشيف، كنزاً لا ينضب لأن الرب يُغنيه.

الأشجار متكئة في الهواء النقي والبراعم تحتها ومن فوقها الفواكه وسماؤهم
الثمار والأزاهير أرضهم، من سمع قط أو نظر السحاب فوق الرأس والمظال
ثماراً والثوب تحت الأرجل مفروشاً بالأزاهير.

هنا يستعمل البحر الخماسي مع زيادة في الدعامات في البيت الرابع
والعودة ثانية إلى البحر ذاته.

وصف رائع للفردوس وصور شعرية ساحرة وجميلة تدل على
رهافة حسه ورقة مشاعره وتفاعله مع الطبيعة تفاعلاً إيجابياً فيرسم بريشته
لوحاته البديعة المملوءة سحراً وفتنة ودفناً.

¹⁹ المروج النزهية، ص 92

2. المديح مُعْكُصًا:

له قصائد جميلة تسحر الألباب وتأخذ العقول في وصف مناقب السيدة العذراء، وكذلك بعضاً من أساقفة الكنيسة ورؤسائها أيامه، نختار هذه الأبيات من تقريضه لأسقف نصيبين مار إبراهيم حيث نسمعه يقول:

مُحَمَّ حَمَصَه وَاجْنُوم	وَهُومَه أَجَا حَمَصَتَا
وَلَا وَجَ أَمَّ حُو حَيَا أَمَّا	حَبَمَهَا مَهَا لِأَجْنُوم
هَا مَدْحُوم حَيَا أَمَّا	وَأُ حَخْبَسَه حَعُوم
مَحْتَا وَهُومَا تَهُومَ حُو	هَجَبَا حَتَّ مَهَلْحَمَا
وَهُومَه حَحَبَه مَهَلَا	حَنِي وَرُومَ حَاجْنُوم ²⁰

والترجمة

يناسب اسمك إبراهيم	أصبحت أباً لكثيرين
وإذ لم يكن لك زوجة	كسارة زوجة إبراهيم
فإن رعينك هي زوجتك	فربي بنيتها بحقك
ليكونوا أولاداً روحيين لك	وأبناء للموعود
وورثة في عدن	مبارك من شبهك بإبراهيم

إنه ربط جميل بين الأبوة الجسدية والروحية حيث أن إبراهيم أباً الآباء أصبح أباً لشعوب كثيرة من سارة امرأته والتي تمثل الكنيسة والتي كانت عاقراً في العهد القديم، فأثمرت شعوباً كثيرة في العهد الجديد، وكذلك

²⁰ المروج النزهية، ص 97

الأسقف يلد أبناء كثيرين من جرن المعمودية للكنيسة، فتكون هذه الكنيسة شبه سارة في عطائها، وتُربِّيهم تربية روحية وتؤهلهم لدخول ملكوت السموات.

إنه يستعمل هذا البحر السباعي حيث الدعامة الأولى فيه رباعية والثانية ثلاثية ولم يغير في الدعامات، وهنا إذن الوزن من البسيط **معهماً** **صمها**.

3. الهجاء **صمها**:

وهو سيد هذا الباب إذ له باع طويل في تقريع أصحاب البدع حيث نسمعه يقول:

صمَّه حَجَبِي
سَامَّه حَه حَبِي
مَهْ وَهَجَا هَاتَانَا²¹

صَحَّ صَحَّم وَبِي
سَلَّ صَحَّ وَبِي
وَلَا يَهَّ كَفَّ أَمَلَّ

والترجمة

باسم ديسان
أكثر من ديسان
حسكاً وزواناً

من كنى ابن ديسان
إذ ناسبه ابن ديسان
ليس ذاك جرف وجلب

هجو بسيط وكلام سهل ليس فيه ساقط القول ولا ذلك التجريح العنيف، بل حتى في هجوه يستعمل الصور الشعرية الجميلة آخذاً من الطبيعة

²¹ الآداب السريانية، ص 171

مصدراً لتبيان مثالب الهجو. نعم إن الأفكار غير الصحيحة وغير المستقيمة والتي تخالف العقيدة المسيحية تشبه الزؤان الذي يخنق الحنطة فيتلفها ويبعث في خبزها المرارة. وهكذا وجد في تعاليم ابن ديسان تلك المرارة، لذا حاربها بكل ما أوتي من قوة.

والآن لندرس صورتين من صورهِ الشعرية الكثيرة والتي لا يمكن حصرها حيث الجرأة والجمال والألوان الزاهية فهو الرسام الماهر الذي يرسم لوحاته بقلمه وليس بريشته ويخلق في سماء البيان والإبداع ولا غرو فهو كما يصفه البطريك أفرام برصوم في اللؤلؤ المنثور "إمام اللغة غير مدافع وشاعر السريان المفلق غير منازع وصفوة الشعراء المطبوعين أصحاب الإبداع المفتتت في الشعر وأجمعهم لكثير من المعاني في قليل من الألفاظ والكاتب الجيد السبك الحسن الصياغة"²² لناخذ هذه الصورة مثلاً:

هَمَلُوا وَعَجَسُوا حَابَهُ
وَمَهَمَهُ عَجَسَهُ وَمَحَلُّهَا نَهَهُ

أَمَّجَبَهُ وَرَفَأَ مَكَلَهُ
نَعَفَ دَهَهُ مَحَكَبَهُ وَمَقَطَهُ

والترجمة:

وقيثارة المجد بيده
أن قوموا وسبحوا فقد وصل النور

وصل سفير الصباح
عزف عليها وأيقظ النيام

²² اللؤلؤ المنثور، ص196

أما الملاحظة الفنية فهي كالآتي:

في البيت الأول استعمل دعامتين، الأولى ثلاثية والثانية رباعية في الصدر والعجز.

أما في البيت الثاني فقد استعمل الدعامة الأولى رباعية في الصدر والثانية ثلاثية وعاد وعكسها في العجز، حيث الدعامة الأولى ثلاثية والثانية رباعية. هكذا يتلاعب فنياً في بناء البيت الشعري بكل حرية وسهولة.

أما الموضوع المهم بل الذي هو مسك الختام في بحثنا هذا فهو القافية **مُعْجِلاً**، حيث يذكر الباحثون في حقل الأدب السرياني أن السريان لم يعرفوا القافية إلا بعد اختلاطهم بالعرب، وخصوصاً في القرن التاسع الميلادي، صعوداً.

وهذا لعمرى غير صحيح، فقد سبق لنا أن أوردنا بعض الأبيات المقفاة لكل من مار أفرام ومار نرسي وقصيدة لمار يعقوب السروجي في بحث سابق عن القافية بين الشعر السرياني والعربي، في ندوة سابقة للمجمع العلمي. واليوم نعود إلى الموضوع ذاته لنرى أن مار أفرام قد استعمل القافية في بعض من طلباته وأناشيده. فقد ورد في طلبته لصباح يوم السبت من صلاة الإصحيم حسب الطقس الماروني، المطبوع سنة 1863 وكذلك وردت نفس الطلبة في الإصحيم حسب الطقس السرياني الأرثوذكسي، الذي نشره البطريرك أفرام برصوم في القدس سنة 1936 ستة عشر بيتاً مقفياً صدرأً وعجزاً والقافية المستعملة هي **حَلَا مَحَلْجَا** أي المفعول المطلق. وفي أدناه هذه الطلبة:

مَعَ أَجَا وَهَسَّأَ	حَا وَكَبَّ أَلَّأَ
مَدَّأَهُ فَيُنَّأَ	حَدَّأَهُ مَدَّأَهُ وَجَّأَ
هَوَّأَهُ مَدَّأَهُ وَجَّأَ	هَدَّأَهُ مَدَّأَهُ وَجَّأَ
وَهَجَّأَهُ أَمَّأَ	هَدَّأَهُ وَهَجَّأَهُ سَكَّأَ
أَهَجَّأَهُ تَهَجَّأَهُ	هَمَّأَهُ مَكَّأَهُ سَبَّأَ
أَجَّأَهُ وَهَلَّأَهُ	هَمَّأَهُ وَجَمَّأَهُ
أَجَّأَهُ وَهَلَّأَهُ	وَنَجَّأَهُ وَهَمَّأَهُ
هَجَّأَهُ مَكَّأَهُ	مَدَّأَهُ حَمَّأَهُ فَهَمَّأَهُ
هَجَّأَهُ مَكَّأَهُ	أَقَّأَهُ فَيُنَّأَهُ وَجَّأَهُ
هَجَّأَهُ مَكَّأَهُ	هَمَّأَهُ وَهَلَّأَهُ وَهَمَّأَهُ
هَجَّأَهُ مَكَّأَهُ	تَحَمَّأَهُ حَمَّأَهُ مَهَمَّأَهُ
هَجَّأَهُ مَكَّأَهُ	مَهَمَّأَهُ لَجَّأَهُ أَمَّأَهُ

هَجَبًا لِحَبَا مَدَاهُ مَدَاهُ ۖ سَلَا حَصْبَهُ وَهَدَا سَكْرَاهُ
أَهْوَى لِحَسَا رَعْنَاهُ مَسْمَعٌ مَعْنَاهُ
حَلَمٌ وَسَمًا مَعْنَاهُ حَلَجٌ أَمْسَاهُ²³

فلو كانت القافية في بيتين أو ثلاثة لاعتبرنا ذلك حدثاً طارئاً وعفويّاً ودون قصد، أما أن نجدها في ستة عشر بيتاً، فهذا دليل قوي وأكد أن مار أفرام، وهو ملك التجديد والتوليد، بل سيد المبدعين في سماء الشعر السرياني، ليس عليه بكثير أن تستهويه القافية بموسيقاها وهو من عرف بموسيقار الكنيسة.

وعليه، فلا مجال للقول أن السريان تعلموا القافية من العرب، بل أرى العكس من ذلك، فإن الشعراء العرب قد تعلموها من السريان حيث أن مار أفرام توفي سنة 373م وبينه وبين شعراء المعلقات بحدود قرنين من الزمان.

هذا غيض من فيض من إبداعات شاعرنا الكبير مار أفرام السرياني، نأمل أن نكون قد وفقنا في إلقاء ضوء جديد على هذا الأديب العبقرى الذي خدم التراث السرياني خاصة، والإنساني عامة، لأكثر من أربعة عقود، ورصع جبين السريانية بإكليل المجد والفخر، وسيبقى ينبوعاً ننهل منه ما دارت الأيام.

²³ الإصحاح حسب اللطقس الماروني، ص468، وحسب الطقس السرياني، ص222.

المصادر:

1. مار فيللوكسينوس يوحنا دولباني، الشعر عند السريان، حلب 1973م.
2. المطران يعقوب أوجين منا، المروج النزهية، طبعة ثانية، مجمع اللغة السريانية، بغداد 1977م.
3. الدكتور سيبستيان بروك، الأناشيد المختارة (جمع)، هولندا 1982م.
4. مجمع اللغة السريانية، مهرجان أفرام حنين، بغداد، 1974م.
5. البطريرك أفرام برصوم، اللؤلؤ المنثور، طبعة ثالثة، المجمع العلمي العراقي، بغداد 1976م.
6. فولوس غبريال وكميل أفرام البستاني، الآداب السريانية، بيروت 1969.
7. الإصحيم حسب الطقس الماروني. بيروت 1863م.
8. الإصحيم حسب الطقس السرياني، نشر البطريرك أفرام برصوم، القدس 1936.

عبدیشوع الصوبای شاعرأ

هو عبدیشوع بن بریخا مطران نصیبین وأرمینیا، أستاذ ماهر وشاعر مجید. رسم أسقفا لسنجار وباعربایي أي طور عبدين للسريان المشاركة ثم رقاہ البطريرك مار یبالاها الثالث إلى مطرانية نصیبین لذا عرف بالصوبایي نسبة إلى هذه المدينة. ترك عدة مؤلفات جلیلة تتم عن سعة أفقه وعمق تفكيره وتضلعه من علوم عصره. لكن ما یهمنا شعره.

الصفات العامة لشعره:-

1. التمكن العالی من اللغة السریانية وحنوه و غیرته علیها.
2. اختياره الدقیق للألفاظ والكلمات والتلاعب بها.
3. قابلیته على توليد الكلمات الجديدة والصیغ غیر المتداولة.
4. الوصف الجمیل خصوصا في اختياره الصور الشعرية من الطبيعة.
5. شفافیته ورقته و عذوبة شعره.

والآن لندرس بعضاً من ميزات شعره الخاصة:

1. يبدأ القصيدة عادة ببیت أو بیتین لیساً من صلب موضوع القصيدة یجعلها فاتحة لقصیدته وبقافية غیر قافية القصيدة.
2. یستعمل الأرقام للدلالة على الاسم الذي تدور حوله القصيدة دون التصریح بالاسم. كما في قصیدته عن السيد المسيح له المجد حیث یقول:

مَصَدُّ قُذِّمًا قُذِّمًا وَسَمِيحًا حَمْدًا وَجَمًّا
وَأَلَمًا حَبْلًا أَوْحَحَّ سَمْعًا كَلًّا مَحْدَمًا

وترجمته:

اسمع أيها اللبيب كنية حبيبي رمزياً كم
هي بالمجموع سبعمائة وخمس وأربعون.
وفي حساب الجمل فإن اسم السيد المسيح "يسوع المسيح" يكون
سبعمائة وخمس وأربعون.

3. يستعمل القافية في صدر البيت وعجزه كما في قصيدة في وصف شهر
نيسان شهر الأزاهير، حيث يقول:

أَجْبًا وَمَحَّ قَلًّا أَجَّ نُرْسًا وَمَا كَلَّ حَقْلَمَهْ وَأَعْحَسْ
لَمَهْ وَحَبْلًا مَهْفَتَهْ نُرْسًا كَسْنَعْمَاهْ وَجَهْ نَعْرَسْ

وهنا الروي هو حرف الحاء.

4. يجب أن ينظم قصائده على حروف الهجاء جاعلا كل بيتين بقافية واحدة
أعني بروي واحد كما في البيتين التاليين من قصيدته في وصف نيسان:

أُهْ مَصًّا وَجَبِّي مَهْفَنَهْ قَلًّا مَحَّ قَلَمَهْ تَسًّا مَأَّا
نَعْمُ نَسًّا قَلًّا وَجَبَّا هَجْبَلًا هَوْجَهْ مَلَّ نُرْسًا

فاتحة البيت الهمزة وهو نفس الروي لصدر وعجز البيت الأول. وأيضاً روي صدر البيت الثاني أما عجزه فهو حرف آخر هو الحاء وهو ما ابتدأ الروي لقصيدته كلها. نلاحظ شيئاً آخر هو استعماله الهتاف **مُحَجَّباً** ليجلب انتباه السامع وهو نوع من المحاسن المعنوية لإظهار لواجج النفس المخفية. وفي هذا دليل على سيطرته على اللغة والتصرف بها.

5. ومن تقننه أيضاً أن الروي الذي يستعمله هو نفس الحرف الذي يبدأ به البيت كما في قصيدته الجدل بين النفس والجسد الخاصة بالأم الإنسان حيث يقول:

د: دَا وَفَنِعْ كَلَوْنِ حَسَّهًا هَمَّامٌ صَقُّدًا وَحَا
 هَهُ وَكِهِ وَمَعْ كَلَا رَحَا صَبْرًا حَكْمًا مَنَجًا وَحَا
 د: كَابِحَتَا رَهَ فَا هَنَعَا

هَإِيْدُ صُفْدٌ دِنْتَا حَرَجُهُ
 حَسَّهُ وَكُ صَعْدَابِ وَنَحَا هَجَبِ هَقِي عَنَا حَسْنَا
 د: رَحَا وَأَوْحَدَا هَكَا مَنَسَمَارٌ مَدَاهَا كَلَا
 هَعْبَا حَاهَا وَرَبْعَا دِنْبَا وَجَسْعُدَا مَنَجَا
 د: كَلَا عَنُوزَا وَلَا فَهَكَا مَسْدَا لَأَمَّا رَهَ وَرَحَا

حَلَا مُلَا وَأَمَلَاهَا وَرَجَلَا
 مَبَّحَ أَيْدَاهَا وَأَمَلَاهَا

6. ومن تمكنه العالي من اللغة استعمال الفعل كروي للقصيدة وبناء القصيدة على حروف الهجاء في آن معاً كما في قصيدة في رثاء الابن الضال ورويه الراء حيث يقول:

أَمَّا وَسَعَا أُو سَخَّجَا حَسْتَا أَمَّا
 حَمَمَا وَأَمَلَاهَا هَكَ حَمَلَا وَسَعَا حَمَمَا
 حَمَمَا مَح تَهَا وَبَمَمَا فَهَمَمَتَا وَحَمَمَا أَمَمَا
 وَهَمَمَا سَخَّجَا حَمَلَا سَخَّجَا مَمَلَا نَامَمَا

7. قلنا إن صورته الشعرية يختارها من الطبيعة وبطريقة جميلة وساحرة تتم عن خيال واسع ورقة وعذوبة كما في الأبيات التالية من قصيدته في الأمثال الخاصة بالسيد المسيح:

حَمَمَتَا رُمَمَتَا أَيْدَاهَا وَحَمَمَتَا حَمَمَتَا
 هَمَمَتَاهَا وَحَمَلَا حَمَمَتَاهَا هَمَمَتَاهَا وَحَمَلَا
 وَحَمَلَا فَهَمَمَتَاهَا حَمَلَاهَا سَخَّجَا مَح وَهَمَلَا هَمَمَتَاهَا

هَـمَا وَهَـمَّكُلَا مَـمَّ قَهْلَاهُ نُهْزُ هُـمَّ وَهَـمَّ

والترجمة هي:

يبرق لونه كأشعة الشمس في العلى
وتشبه قامته غصن الآس والأرز العالي.
يشبه فمه الإناء المصاغ من الذهب والفضة
وتقطر شمسفتاه الزعفران متى تكلم.

صورة جميلة سبكها بأسلوب أخذ مختارا من الطبيعة ألفاظا بسيطة
جاعلا منها لوحة فنية رائعة تسحر الناظر إليها.

ولنأخذن صورة أخرى من نفس القصيدة:

هَـوْهَـمَ هَـمَّ هَـمَّ هَـمَّ هَـمَّ هَـمَّ هَـمَّ هَـمَّ هَـمَّ هَـمَّ
هَـمَّ هَـمَّ هَـمَّ هَـمَّ هَـمَّ هَـمَّ هَـمَّ هَـمَّ هَـمَّ هَـمَّ
هَـمَّ هَـمَّ هَـمَّ هَـمَّ هَـمَّ هَـمَّ هَـمَّ هَـمَّ هَـمَّ هَـمَّ
هَـمَّ هَـمَّ هَـمَّ هَـمَّ هَـمَّ هَـمَّ هَـمَّ هَـمَّ هَـمَّ هَـمَّ

والترجمة هي:

جلال منظره وبهاء حديثه يداويان
المعذب بأمراض الغضب والحقد القاسية
ويفوق بهاؤه الأزهير وعطر الفقاح
بل إن أريجته أنكى من الوسن والآس والياسمين.

رسم مرة أخرى صورة جميلة مزركشة تسحر الأبواب ويتنفس البساطة المعهودة.

8. ومن تقننه استعماله المفعول المطلق كقافية وهو دليل آخر على تضلعه من اللغة السريانية وانقيادها له ولئن سبقه في ذلك الشاعر المبدع مار يعقوب السروجي من القرن السادس. إذ يقول:

أَوَّجَا نَسَاءَهُ ذَمُّهُمَا حَصَّعَاءَهُ
وَأَيْدِي رُبِّهِ كُضَّعَاءَهُ هُكِّسَهُ سُبَّأَهُ مَهْمَاءَهُ
أَفْنَاءُ أَلْوَالِيهِ كَحَجَّأَهُ كَدُّ جَهْلِهِ هُجَّأَهُ
هَلَّأَهُ أَهْلُهُ سَحَّأَهُ أَهْلُهُ مَهْمَأَهُ أَمَّأَهُ

9. ومن محاسنه اللفظية ما يقرأ طرداً وعكساً وهو في الحقيقة سيد هذا الفن خصوصاً في مقاماته التي يحاكي فيها الحريري:

كَلَّمَ قَبْلَهُ حَجَّأَهُ وَهَمَّ وَجَبَّ أَسْمَ فَلَكَ
وترجمته: باري الأقاليم بكرَّ وغنَّى: وأشار وركَّبَ وأرضع وقسَّم.
أما في تزويق المعنى وإخصاب الخيال نراه يقول:

أ. الاستحضار **هُمُّجًا** وهو أن ينسب المتكلم كلامه لمن كان بعيداً أو ميتاً أو لمن خلا من الحس كقوله:

سَبَّ مَعْدًا فَجَبَّ حَسَّ أَسْت بِ يُقَمُّ هَهُأ مَّ حَّه
 فَهَسَّ فَهَمَّه بِ لَأ مَصَكَلَا هُؤَمَدُ كَسَّ أَيْب
 وَجَعَدَمَا

وَأَلَّ مَرَّأَ إِيَّأَ أُقَعَمَ رَأُوبِ وَؤَسَّ هَعْنَأَ فَجَبَّ مَهَجَ كُوبِ
 وترجمتها:

يا اخوتي التقيت بميت كان خارجاً من داره
 فتح فمه دون كلام وقال لي وهو صامت
 لا أستطيع البقاء عندك إذ أن جسدي يبعث رائحة كريهة

ب. المطابقة لـ **حسدا**: وهو جمع الضدين كما في البيت الثاني:

فَهَسَّ فَهَمَّه بِ لَأ مَصَكَلَا هُؤَمَدُ كَسَّ أَيْب وَجَعَدَمَا

إذ كيف يفتح فمه دون أن يتكلم ويقول وهو صامت. وهذا نوع من الأنواع التي تزيد العبقرية والعلم في الترويق.

ج. حسن الابتداء **هَعْنَأَ مَهْؤَمَأ**: كقوله:

هُؤَأَ مَعْدًا وَبَأَدَمَأ وَهَهُأَ حَقَبِنَأَ هَلْبَعَمَأ
 هُؤَبَّ كَبَعَمَأ فَمَمَأ وَؤَسَأَ مَّ سَأَأَ كَسَمَأ
 وترجمته:-

سمعت نبأ الصراع ما بين النفس والجسد

ز . المقابلة قَدْ سَعَا: وهو أن يأتي بالمتألفات المختلفة وبما يطابقها بالترتيب كقوله:

حَتَّىٰ هَمَّ سَعَا حَمَّ حَمَّ حَمَّ
هَسَا هَسَا حَمَّ حَمَّ حَمَّ
حَمَّ حَمَّ حَمَّ حَمَّ حَمَّ حَمَّ
حَمَّ حَمَّ حَمَّ حَمَّ حَمَّ حَمَّ

وترجمته:-

النظر والشم مع السمع والذوق واللمس مع العقل
يقينهم بغناه الفأئض بتلذذ يفوق الوصف

هذا غيظ من فيض من إبداعات هذا الشاعر، ولكن ما يميزه هو إبداعه في المقامات حيث أثبت بما لا يقبل الجدل أنه سيد هذا الفن. ولئن دل هذا على شيء فإنما يدل على سعة اطلاعه وتمكنه من اللغة السريانية وثاقب تفكيره مما جعله أن يضع لنا مجموعة من المقامات على غرار مقامات الحريري موضحاً، بل مثبتاً، أن اللغة السريانية لغة حية ومرنة ويمكنها أن تجاري بقية اللغات الشقيقة خصوصاً العربية إذا ما لقيت من يحنو عليها ويعطيها من وقته وفكره وجهده.

لقد حاول تبيان مرونة السريانية وسلاستها وقدرتها على مضاهاة اللغة العربية في الفصاحة والبلاغة والبيان والبديع من جناس وطباق

ومحاسن لغوية ولفظية وتعبيرية، ففي قصائده/ مقاماته جمع كل محاسن البلاغة وثروات اللغة السريانية البديعة.

الخلاصة

1. إن عبيدشوع الصوباوي أحد أقطاب اللغة السريانية وجهابذتها، وهو لئن كان من أبناء القرن الثالث عشر إلا أنه يعد من أدياء الفترة الذهبية لما قدمه من مستوى رفيع في فروع المعرفة.
2. تأثر تأثراً واضحاً باللغة العربية وكان لهذا التأثير دوراً إيجابياً في تطور اللغة السريانية وإنمائها.
3. طرق في شعره أبواباً لم تطرق من قبل وهو دليل سعة اطلاعه وسمو تفكيره وعلو كعبه في مجال اللغة والأدب.
4. نأمل أن تدرس أشعاره ومؤلفاته دراسة موسعة في الكليات ذات العلاقة ليستفيد النشء منها.

المصادر:

1. مَنَّا، المطران يعقوب أوجين، المروج النزهية، الطبعة الثانية، بغداد، 1977.
2. فردوس عدن
3. دولباني، المطران يوحنا، الشعر عند السريان، حلب، 1970.
4. صلاح عبد العزيز محجوب، قصائد عبديشوع الصوباوي، رسالة دكتوراه، بغداد 1995م.

مار غريغوريوس بولس بهنام (1916 – 1969م)

هو سركييس بن بهنام كولان وأمه نجمة ابنة جرجيس الخوري يلدا.
ولد في بغداد (قره قوش)
تلقى مبادئ العلم في مسقط رأسه ثم التحق بمدرسة دير مار متى
سنة 1929 حيث شدا العلوم الدينية والطقسية وأتقن اللغتين السريانية
والعربية وألمّ بالإنجليزية وتوشح الإسكيم الرهباني سنة 1935 واتخذ اسم
"بولس". وفي سنة 1938 التحق بمدرسة مار أفرام اللاهوتية بزحلة لبنان إذ
أكمل دروسه العربية والفلسفية وأصبح أستاذ اللغة السريانية فيها ثم مديرا لها
على أثر انتقالها إلى الموصل سنة 1945م.
منح لقب ملفان سنة 1951م بعد أن قدم أطروحة في "علم النفس لدى
مار سويريوس موسى بن كيفا الفيلسوف السرياني" من المثلث الرحمة مار
إغناطيوس أفرام الأول برصوم.
رسم مطرانا للموصل في 6 نيسان 1952م
حصل على منحة دراسية سنة 1959م من السيميناري المتحد في
نيويورك قضى فيه سنة دراسية درس خلالها اللغة الآرامية.
عرج في طريق عودته على مكنتبات أوروبا لمدة ثلاثة أشهر واطلع
على نفائس السلف فيها.

نقل إلى بغداد سنة 1960م وهو بذلك أول مطران سرياني أرثوذكسي لها بعد توقف دام سبعة قرون ونيف إذ كانت هذه الأبرشية قد اندثرت في القرن الثالث عشر بعد الغزو المغولي لبغداد.
توفي في بغداد في 19 شباط 1969م في مستشفى الراهبات وكان في قمة عطائه وكان تشييعه مهيبا جدا.

كان المطران بهنام شخصية فذة فهو خطيب مصقع وكاتب نحري، وشاعر رقيق ولغوي بارع، ومترجم متمرس، وأديب أريب. وقد خدم التراث السرياني خدمة يعرفها القاصي والداني إضافة إلى تواضع جم وإيمان راسخ ومحبة صادقة.

قلنا إنه كان خطيبا مصقعا ومفوها فلنسمع بعض نغماته في رثاء المثلث الرحمة البطريرك أفرام، حيث يقول:

يا من أوف إلى جانبه كما يقف الظمان أمام جدول جف مأؤه.

فاجعتك عظيمة أيتها الأمة السريانية

فاجعة أمة برجل

ورجل بأمة

فاجعة ممجدة ومجد مفجوع.

أما في وصف الفدائي فنسمعه يقول:

رأيت نعشا مرفوعا على عربة مدفع

في وادي الأردن

قلت ما هذا؟

قالوا إنه الحق

قلت كيف يموت الحق؟
والحق هو الله
مات الحق! مات الله!

آثاره:

أ. المطبوعة:

1. أصدر مجلة "المشرق" في الأول من حزيران 1946م وكانت نصف شهرية واحتجبت بعد أن صدر منها 27 عددا.
2. عاد فأصدرها باسم "لسان المشرق" في أيلول 1948م ودام صدورها حتى آذار 1952.
- وقد دبح فيها مقالاته الفلسفية وبحوثه التاريخية وقصائده الشعرية وأما قصائده فقد كانت تحت اسم مستعار هو "تزيه عثمان" و"زهير سلطان".
3. خمائل الريحان في حياة مار يعقوب السروجي الملفان، الموصل، 1949.
4. مبادئ الإيمان - بدون تاريخ.
5. البنفسجة الذكية، الموصل.
6. الحق حق رضي الناس أم غضبوا، الموصل.
7. علم النفس لدى موسى بن كيفا، الموصل 1951.
8. تحقيقات لغوية، الموصل 1953.
9. تاريخ دير مار مرقس، القدس 1957.
10. رواية تيودورة ابنة قسيس منبج، الموصل.

11. الفلسفة المشائية في تراثنا الفكري.
 12. العلاقات الجوهرية بين اللغتين السريانية والعربية.
 13. نفحات الخزام أو حياة البطريرك إغناطيوس أفرام، الموصل 1959.
 14. المرشد في مبادئ اللغة السريانية.
 15. ابن العبري الشاعر، القامشلي، 1965، وهو دراسة مستفيضة في شعر ابن العبري وبضمنها قصيدة الحكمة الإلهية التي ترجمها شعرا من السريانية إلى العربية وأسماها الملحمة الحمراء، وقد أجاد فيها أيما إجادة.
 16. القديسة شموني، مسرحية.
 17. البابا ديوسقورس أمام منبر التاريخ، دراسة موسعة، طبع في مصر بعد وفاته.
 18. أحيقار الحكيم، مجمع اللغة السريانية، بغداد، 1976. وقد ورد في مقدمة الكتاب أن ولادته كانت في الثلاثين من نيسان 1914م وذلك بقلم الأستاذ (الأب) سهيل قاشا، خلافا لما أجمع عليه من كتب في سيرة هذا الملفان من أن ولادته كانت 1916م.
 19. وقد اعتمدت في تحديد ولادته المصادر العالية وكذلك التاريخ الموجود على ضريحه في كاتدرائية مار بطرس ومار بولس للسريان الأرثوذكس.
 20. أدب الرسالة عند السريان، حلب، 1980.
- ب. المعربة

1. تاريخ طور عبيد للبطريرك أفرام الأول برصوم، حيث طبع النص السرياني مع التعريب، جونية، لبنان 1964م.
2. الإيثيقون لابن العبري، عربيه عن السريانية وهو كتاب في الأخلاق المسيحية، وطبع في القامشلي عام 1967م بهمة الراهب جورج صليبا (المطران حالياً)، وقد وردت فيه أخطاء مطبعية لبعده عن المطبعة رغم جهود الراهب جورج.

ج. المخطوطة

كان قد أعد الموسوعة السريانية باللغة الإنجليزية وقد قطع شوطاً كبيراً في هذا الموضوع ولكن المنية عاجلته ولم يعرف مصيرها. فهو قد ظلم في حياته وكذلك ظلمت كتاباته التي تركها حيث تبعثرت ولم يتصد لها شخص لجمعها ونشرها وفي ذلك خسارة كبيرة لا تعوض. إن ما يهمنا هو الدراسات السريانية فقد تناولت هذه الدراسات المواضيع التالية:

1. اللغة السريانية وتاريخها وتطورها.
2. بحوث في اللغة السريانية ومقارنتها بشقيقتها العربية.
3. بحوث في تاريخ الأدب السرياني.
4. بحوث في نقد الفكر السرياني "دراسة وتحليل".

والتي تتحصر في النقاط التالية:

- أ. كلمة عامة مجملة.
ب. نقد الأدب السرياني (دراسة وتحليل).
ج. نقد الفلسفة السريانية (دراسة وتحليل).
د. الكلمة الأخيرة.

اللغة السريانية

هام المطران بولس بمحبة اللغة السريانية وكان يفاخر بها في كل محاضرة يلقيها ويشيد بمحاسنها في كل مناسبة يخطب فيها، ورغم أن إنتاجه اللغوي قليل جدا إلا أنه يدل على إحاطته الواسعة بأسرار هذه اللغة وتمكنه العالي من نحوها وصرفها وأساليب الكتابة بها. نورد قصيدته باللغة السريانية على البحر الثماني وهو البحر الذي استنبطه أنطون البليغ في القرن التاسع، حيث يقول:

كَمَا رَحِيمٌ إِنَّةَ لَعَزَنٍ سَوْرِيَّيَا:
دَمْنِخَ رِيَّحًا دَحِيًّا نَسَوِّقَ
دِائِنَةَ نُوِّ سَغَوِّلِينَ مِرِنِيَّيَا:
وَمَنْخَ حَلِيوَّةَ شَوْبَحِينَ نَمَتَوِّقَ.
إِنَّةَ نُوِّ غَزَا دَخَلَ حَخْمِيَّيَنَ:
وَعَوَّةَرَا رَحِيْمًا دَائِيَّيَنَ

اِنَّة نُو حَبِيَّت لَبُوَّةَنْ :
 بِيح نُو دَبْتَقَنْ نِيَشَهَنْ
 سِمَا لَلْبُوَّةَنْ اَتَهِيك :
 وَنَوِّرَا لَعِينَا وَلَتْتِظ
 وَشَوِّرَا دَحِيَّا قَدِمَا اَتَهِيك :
 وَمَعْتِنَا دَخَلَيْن طِطْ ظ
 مَنِيح يَنْقَتْنِي حَلِيوُظ :
 بِي دِشَبِقُو لِيْن اِيْتِي ظ
 دِيخ نُو حَمْتَلِن كَل يَدِّعِظ :
 دَانِيذِي نُوِي كَلِيْن فَنِيِظ
 اِفْرِيْم رِبَا بِيح نُو مِلَل :
 وَبِيح سِم مِدْدَشَا وَسُو غِيِظ
 وَيَعْقُوْت دِسْرُوغ بِيح نُو يِلَل :
 مَامَا ذَا مَتْنَا وَخَل عَوْنِيِظ
 فَتَلُو كَسْتَنُوْس يُو نُوْتَحَا :
 بِيح اِبِع لِيْن كَل يَدِّعِظ

وِثْرَ عَثْرِيَا طِرْقَا شْتَحَا:
بِخِ إِخْتِثَ لِنِ كَلِّ حَخْمِظِ
إِنْتَوْنِ أَوْ بِنِي سَوْدِييُوظِ:
بُوو لِيَا سِثْرَا دَحِيَا لَأَوْمِظِ
دِخْبِرِ عَقْنَا بَخُونِ حَارَوِّظِ:
وَحَوْبَا دِخِيَا وَيِمْنَوِّظِ

ويلوح فيها حسه القومي ودعوته للنهوض حيث يؤكد خصوصا في البيتين الأخيرين على حرية الأمة والرجاء في إحيائها وانبعاثها دليل حبه العميق لها ولتراثها الذي قضى عمره في خدمته. وأما نثره فرشيق وجزل وكمثال نختار هذه المقطوعة المنشورة في كتاب اللغة السريانية للخوري برصوم أيوب.

شْتِيَا طِيَا

إِمْرَتِنِ دِغَثْرَا أَنْشِ اتَّة نُوَا لِي شْتِيَا طِيَا
وَأَسْتَنْقِ دِنزَبِنِ بِيئِي وَنَنْرُوعِ حَوْبَا دَاتَّة
نُوَا عَلُونِي. وَشَالُونِي أَنْشُ دِثَحْمَا
مَزَبِنِ إِنَّة بِيئِخْ؟ وَأَمْرٍ بَالِيَا دِتْنِذْتِنِ. أَمْرُ
لِي نَنْوْنِ دَلَا شَوَا بِيئِخْ سَطِرْ مَن

حَمَشِمَا دَتِنْدَتِن. وَو فِنْت اِتِن بِيْظِ دَتْلِي
لَا شِيْوَا اِلَا حَمَشِمَا دَتِنْدَتِن مَدِيْنٍ وَّلَا
دَّةَلُوْن لَت اِلِيَا دَتِنْدَتِن دَاْرِبِن لِحُوْن شَتِيْنَا
دَتْلِي وَخِد شَمِع شَتِيْ طِيْنَا حَدَت بِي
سِيْهَت وِيْرِع كَلُوْن حُوْبُوْنِي وِيْنْت لِي
زُوْرَا سِيْهَتَا.

وفيها أيضا عبرة عن أهمية الجيرة الحسنة التي لا تقدر بثمن والتي أحوج ما نكون إليها في هذه الأيام.

2. تاريخ الأدب السرياني: له عدة مقالات قيمة في هذا الموضوع الحيوي والهام منشورة في مجلتي المشرق ولسان المشرق.

وأما الثقافة السريانية: فقد وضع فيها كتابا في 250 صفحة بحث فيها الثقافة السريانية من كل نواحيها وجوانبها وقد بحث هذا الموضوع في أوائل الأربعينات وهو من أجل ما كتب في هذا الموضوع الأدبي التاريخي.

3. بحوث لغوية: له بحثان مهمان في هذا الفرع من التراث السرياني.

أ. تحقيقات تاريخية لغوية: بحث في حقل اللغات السامية وهو بحث

لغوي علمي تاريخي انتقادي حول كتاب معجمات عربية - سامية

للأب أ. س. مرمجي يقع الكتاب في 106 صفحات ويشير فيه

بالبرهان إلى علاقات اللغة السريانية مع البابلية والآشورية والكنعانية

والعبرانية ثم يعود ليقارن بين الآرامية والأكدية ويقول في ذلك "إن

أهم صفة تحوزها اللهجة السريانية الغربية هي اتفاقها مع الأكديّة في ختام جميع المفردات بالضمة الخفيفة وتسمى بالسريانية "الزقاف" وكثيراً ما تتساوى في اللغتين كلمات لفظاً ومعنى". ويورد بعض الأمثلة.

ب. العلاقات الجوهرية بين اللغتين السريانية والعربية: يقع هذا الكتاب في 80 صفحة وأهم ما في هذا الموضوع هو دحض زعم علماء المشرقيات أن أول من استعمل مصطلح اللغات السامية هو شلوتزر الألماني 1781م، مؤيداً أن هذه التسمية قديمة العهد يرتقي تاريخها إلى ما قبل القرن السابع الميلادي وأن أول من أطلق هذه التسمية هو العالم السرياني يعقوب الرهاوي المتوفى سنة 708م. وجرى علماء السريان على أثر الرهاوي كالمؤرخ السرياني المجهول في القرن الثاني عشر وابن العبري في القرن الثالث عشر.

الفكر السرياني: أدب وفلسفة

4. لدى مقارنة الفكر السرياني مع غيره نجد أن هذا الفكر ضارب في أعماق التاريخ والمجد والعبقرية وقد أعطى الحضارة الإنسانية الشيء الكثير وإنه الدليل بل المقياس لذكاء علماء السريان.

فمثلاً إن قصيدة "الفردوس المفقود" للشاعر الإنجليزي الضرير ملتون وضعت في عام 1642م ليست إلا صدى لقصيدة سريانية وضعها الشاعر السرياني مار إسحق الأمدي في القرن الخامس سماها "الحلم الذي رآه آدم عن الفردوس" وأول من كشف النقاب عن هذا هو المطران بولس بهنام.

ونظرية "الإنسان عالم صغير" التي طلع بها إلى عالم الفكر هرذر الألماني ليست إلا ترديداً لصدى فكرة ولدت في عقلي مار يعقول السروجي في القرن الخامس والسادس ومار أحوامه في القرن السادس. وترى في كتاب "علة كل العلل" للرهابوي المجهول من القرن العاشر الميلادي "نظرية الإنسان الأعلى" التي أتى بها نيتشه الفيلسوف الألماني الشهير مردداً لصدى فكرة فيلسوف سرياني هو الرهابوي. هذا غيض من فيض مما جادت به قريحة ملفاننا الخالد مار غريغوريوس بولس بهنام. نأمل أن نكون قد سلطنا بعض الضوء على هذا الباحث في تراثنا السرياني العريق.

المصادر

1. البطريرك يعقوب الثالث، دفتات الطيب في تاريخ دير مار متى العجيب، زحلة، 1961م.
2. المطران بولس بهنام، نفحات الخزام أو حياة البطريرك أفرام، الموصل، 1959م.
3. الخوري يوسف سعيد، حياة الملفان بولس بهنام، السويد، بيروت، 1969م.
4. المطران مار سويريوس إسحق ساكا، صوت نينوى وآرام، دمشق، 1988م.

5. مجمع اللغة السريانية، أحيقار الحكيم (المقدمة)، بغداد، 1976م.
6. الخوري برصوم يوسف أديب، اللغة السريانية، حلب، 1975م.

خاميس القرداحي

شاعر مجيد، يمكنك أن تلاحظ قوة عارضته وطول باعه في الشعر من قصيدة واحدة حيث ترى الحلاوة والفن والطلاوة التي قلما تراها لدى غيره من الشعراء المعاصرين له ما خلا ابن العبري الشاعر المعجزة.

حياته

عاش شاعرنا في منسلخ القرن الثالث عشر وكان قد ولد في أربيل أو إحدى القرى المحيطة بها لذا نسب إليها ولقب بالقرداحي نسبة إلى مهنة آبائه حيث كانوا يعملون بالحدادة، ويقال أنه كان كاهنا متزوجا له أولاد وبنات جميلو الصورة بل لقد شبه أبناؤه بالقمر لحسن صورتهم.

يقول عنه المطران يعقوب منا ما ترجمته "له كتاب وسط في الشعر متنوع الأغراض لا يخلو من الحلاوة والطلاوة وحسن النظم".

أما منصور روئيل فقال عنه "إن خاميس شاعر من الدرجة العالية إذ يعبر عن آرائه ومشاعره بصدق وبكلام فخم - مصقول، إنه شاعر مؤمن ومفسر ومترجم ومغرم وخمري ومحب وحكيم ويمتاز برقة المشاعر وحدة النزعات".

ويقول عنه غطاس مقدسي إلياس الشاعر الكبير ما يأتي: "كتب في الكثير من المواضيع تفوح منها رائحة الثقافة العربية وبكلام منمق ومصقول وبآراء مرتبة وله صور ذات خيال مزينة بألوان نقية".

أما الأب شليمون إيشو فيقول عنه "إنه كاتب مشهور بين أبناء جيله كابن العبري وكيوركيس وردا الأربيلي وعبديشوع الصوباوي"

وبعد هذه المقدمة القصيرة لندرس ديوانه الشعري الذي نشرته دار نصيبين للنشر بدهوك عام 2002م.

وفيما يلي بعض من صفات شعره وفنونه بإيجاز:

1. بناء القصيدة بطريقة الدوبيت أي أن كل بيتين لهما نفس القافية

مثل هذين البيتين من قصيدته في بشارة السيدة العذراء حَامًا

وَهُسًا

كَيْ يُعَلِّسَ بِهَِا كَجَبَلًا : حَمًا حَلَلًا حَيَا مَعْنَلًا

وَبَعَجَبَةٍ حَلَا مَهْجَبَةٍ وَحَصَّهْ أَمَلًا : وَمَدَقَعَمَ حَصَّ حَمًا أَمَلًا

نلاحظ في نفس الوقت أن الصدر والعجز ينتهيان بنفس الحرف أي لهما نفس الروي وهو هنا اللام بل إن الدخيل أي الحرف الفاصل بين الروي والتأسيس هو نفسه وهو هنا الياء.

2. بناء الدعامة الأولى على حرف والثانية على آخر والثالثة على

حرف ثالث أي ما يعرف بالقافية الداخلية، مثل:

أَلَقَا أَلَقًا وَمَهَجَسَ مَهَجَسًا مَكْصَبًا حَبَالًا:

هَدَاقًا حَقَقًا وَفَهَامَسَتْ وَهَسًا مَدِيمًا حَبَالًا.

ففي الدعامة الأولى إلقاء والثانية الحاء والأخيرة التاء وفي هذا قد استفاد من شعر مار يعقوب السروجي الذي هو الأول في هذا التقنن.

استعماله الجناس في الكثير من أبياته كما في العجز التالي:

بَجَاؤُهُ سَجَبَهُ، بَعَجَبَهُ، كَجَبَمَهُلًا فهنا المعاني مختلفة والمبنى متقارب جدا.

تمتاز صورته الشعرية بالجمال الأخاذ وحسن السبك ورقة اللفظ
وجزالته كما في قصيدته **حَلَا مَهْكُمَا وَسَعَا** (مدح الصديق). والتي هي
على الحروف الأبجدية وهذا من المحاسن اللفظية.

أ. **أَيْدِيهِ وَحَصَّوْا :** **وَمَعَهُ أُوحَّصْنَا.**

مَمَّسْنَا سَعَا : **أَوْ مَهْأَوْا. حَفَّوْا مَدَاهَا.**

ونلاحظ استعماله الغلو **وَهُجَّ مَهْكُمَا** وكذلك استعمال القافية الداخلية
حيث بنى الدعامات على حرف واحد هو الراء وفي هذا دليل تمكنه
العالي من اللغة.

ح. **حَبَّكَه نُو حُكَمَا :** **كَمَّه كُجَّه فُصَّعَا.**

وَبَلَّأَ كَحَمَا : **حُجَّوْا مَه مَدَّعَا، وَلَا حَجَّ هَلَّا**

وَحُكَمَا.

في هذا البيت نرى نفس صفات البيت الأول حيث الغلو والقافية
الداخلية واستعمال اثنتين من أدوات الوصل وهما **حَجَّ** و **وَحُكَمَا**
3. استعماله المترادفات لإغناء الصفات الممنوحة لمن يصفه كما في
المثال التالي:

وَمَهْدَا أَيْدِي كُكُو : **هَلَّوْا أَيْدِي كُكُو**
عجيب أنت كلك: بل دهش أنت كلك.

وهنا القافية هي ضمير المخاطب المضاف إليه والبحر المستعمل هو
بحر بالاي أي الخماسي والمضاف هو كلمة **كُلُّ** في الصدر والعجز.

استعماله السؤال لإضفاء هالة حول موصوفه وكي يجلب الانتباه أكثر كما في الأبيات التالية:

عنه وحب فسم: هعده حب كسم.
وجلا حب وسم: هكعص صلا وسم
ح صلا مسم

وفي هذه الأبيات يغير الوزن الخماسي إلى الرباعي ثم يعود إلى الخماسي ليدل بذلك أنه قادر على التحرك بحرية والتصرف في صوغ القصيدة.

من يشبهك، واسمه يناسبك، فالكل يحبك، ويترجم اسمك الذي يحيي الميت.

له قابلية كبيرة على اختيار الصور المؤثرة في نفس سامعيه ففي هذا البيت من قصيدته في رثاء ابنه يصف خصل شعره بالليل الداجي الطويل الذي يزيد من أرق المعنى إذ نسمعه يقول:

هوهعت ههذم ككا: مهوحم حلا أهده لأما.

وهو هنا يستعمل البحر السباعي وبنفس روي الصدر والعجز. إن مشاعره رقيقة وصادقة.

4. استعماله الهتاف موحا: أي حرف النداء في بدء القصيدة

خصوصا تلك التي ينظمها على الأبجدية لجلب انتباه السامع كما في الأمثلة التالية:

هه نعا وحممه حهعها: سباب لهلا همم صهعهحها.

وهو هنا يستعمل المفاوضة حَسْبًا يخاطب النفس الشائخة بالإثم
ويدعوها إلى الندم والقيام من سقطتها. ونلاحظ هنا أنه استعمل كلمة **وَهْمًا**
وَهْمًا وهما متكونتان من نفس الحروف بتسلسل مختلف ليعطي معان
مختلفة تماما . أليس هذا أن اللغة قد أسلست له القيادة؟

أَهْ مَحْسَبًا وَبَأْسًا : أُوْهْمُ مَهْمًا وَسَجًّا .

أَهْ مَسَاءً لَأَوْهَهُ حُلْمًا : مَذْمُومٌ كَلِمَةً مَجْمُوعٌ مَعَهُ مَقَامًا .

والمفاوضة من الفنون التي تفيد العبقرية والعلم.

استعماله ضمير المخاطب المضاف إليه في بناء القافية والقافية
الداخلية كما في الأبيات التالية من قصيدته في مدح صديق له.

سَكَّنَ مَتْنَهُ : مَاتَ تَحْتَهُ

فَكَيْفًا سَأَلَ : فَأَمَّا وَأَمْرٌ

حَبْلًا وَتَحْلُهُ .

وهذا دليل تمكنه العالي من اللغة وسهولة تصرفه فيها.

تحليل قصيدة له في الخمر

إنه يبدأ البيت بالمساءلة **مَعَا كُنْمًا**: وهي نوع من المحاسن اللغوية:

أَمْصًا لَأُحَدِّجَهُ : حَبًّا مَعْدًا صَبَّ أُمْدًا .

وَأَنَا بِهِ وَحُصْمًا مَصْحًا : مَخَّ مَخَّ حَجَّتًا مَهْمًا كَسًا .

وفيه يفتخر الخمر بما له من خصال حيث يروح عن النفس مدعيا أنه لا أحد من العبيد يبغضه، ويعني بالعبيد الإنسان ويستمر الخمر بالفخر والتباهي حيث يقول شاعرنا على لسان الخمر:

كَمْ مَعْدَجًا رَعَى سَاءًا : هُمَا هَمَجًا هَجَاءًا
حَبْلًا مَعْمَجًا هَسَعَصَاءًا : هُهَا هَوَّجًا حُجْبَجَ كَأ.

صور شعرية جميلة حيث الوصف الرقيق والذي يحلق فيه الخيال مما يدل على سعة مخيلته الشعرية وبجزالة ألفاظ ووصف جميل للكلمات.

أما في البيت التالي فاسمعه يقول:

كَمَّ هَمَجًا مَحَّ مَعْمَبًا : هَلَّا هِيَه وَحَلْحًا مَسَبًا
مَحَّ مَحَّ مَتَّمًا مَحْتَبًا : هَلَّا حَفْسُهُ أُجَّ كَأ

نلاحظ هنا الادعاء بالإبهة والسمو إذ يجعل لونه أجمل من الياقوت وأنه يبهج القلوب وأن السادة والعبيد يصرفون الأموال رخيصة في سبيل شراء وده.

هَمَّ مَلْحًا هَمَّجًا : هَحَّه وَكَلَّه سَاء
سَاءَ هَمَّجًا وَكَلَّه كَأ هَمَّجًا : هَجَاءَمَتَّاهُ مَعْمَلَّه كَأ.

لقد بلغ به الاعتداد بالنفس والخيلاء حدا حيث يدعي أن داود الملك والنبي والذي يلقب الله الحي نظره ولم ير له شبيها ولذا فقد امتدحه في مزاميره، كل هذه الأوصاف والألقاب والنعوت الجميلة والسامية خلعها عليه، ويستمر في تصاعد وتيرة وصفه إلى أن يصل به القمة وكل ذلك على لسان

الخمير الذي ينهي البيت بلفظة لي حم والمركبة من حرف الجر لام وضمير المتكلم الياء . وذلك كنوع من التوكيد على الصفة التي منحها لموصوفه. حيث نسمعه يقول:

هُمَّ حَمٌّ وَمَدَّهَا حَمًّا: هُمَّا حَمٌّ فَكُنَّا سَهًّا
نَعْمٌ مَّا كَجَّجًا وَجَّا حَمًّا: هَلَجَّجْنَاهَا مَعْمًا كَدًّا

أجل إنه وصف جذاب وجميل ويمتاز بالعذوبة والرفقة. والكثير الكثير من الصور الشعرية التي تأخذ بمجامع القلوب. أضف إلى ذلك ما تتمتع جملة من البيان والبديع كما في البيتين التاليين:

هَوُّوَا مَعَّةً مَعًّا وَوَجَّجَا: هَجَّجَّا وَهَجَّجَّا حَجَّجًا.
مَنَّعَ هَجَّجًا هَوُّوَا: هَجَّجَّجَّا وَجَّجَّجَّا مَعَّجَّجًا كَدًّا.

صور شعرية جميلة وساحرة واختيار موفق للألفاظ وسبك بليغ ودون تكلف.

وخذ مثلاً هذا البيت المفعم بالجمال والحسن:

أَوْجَّجَّا إِيَّا مَنَّعَ حَمَّ مَعًّا: هَمَّجَّجَّا وَهَجَّجَّا هَجَّجَّا إِيَّا.
هَمَّجَّجَّا مَنَّعًا مَلَّا إِيَّا: هَمَّجَّجَّجَّا وَهَمَّجَّجَّا كَدًّا

والترجمة:

أشهل من عين الحمامة: وأحسن من الذهب الأوفير.
وأحلى من الشهد: وهنيئاً لمن يشربني.

في خمريته هذه تتجلى قدرته الكبيرة في الوصف واختيار الصور التي
تحرك الوجدان وتعمل في النفس . إنه فنان يرسم لوحته بالكلمات وليس
بالألوان وتدخل محرابه صاغرا.

وله في الحكمة أبيات جميلة نأخذ منها:

لَا هُوَ لِمَا أَحَدٌ مَنَّهُ وَاجِبًا سَأَ هَمًّا:
وَمَنَّهُ وَهَوًّا هُوَ نَسَبٌ مَصْلُومٌ لَّا سَأَ حَسًّا.
لِي فَهِيَ كَيْدٌ حَلٌّ كَهَمَجٍّ مَنَجَّهُ سَأَ:
وَأَوْحَى مَعْمَدًا بَصِيحًا سَأَهُ حَقِّمًا وَسَأَ
لَا تَطْلُبُ مِنَ الزَّمَنِ الرَّاحَةَ وَالْأَمَانَ أَبَدًا:
لَأَنَّ مِثْلَ هَذَا لَمْ تَرَهُ الْعَيْنُ قَطُّ.
فَإِن كُنْتَ ذَكِيًّا فَاعِدِدْ لِحَرْبِهِ سَلَاحًا
لَأَنَّ غَايَةَ الْحَقِّ هِيَ مَقَاضَاةُ الْبَاطِلِ أَوْلَا.

إن دل هذا على شيء فإنما يدل على سعة خبرته في الحياة حيث أنه
أجمل حياة الإنسان الطويلة في هذين البيتين. وهو يبدأ البيت الأول بلا
الناهية لأ مَعَصْر. والبيت الثاني بإن الشرطية لِي فَهِيَ. وفي
الاعتكاف على المال يقول:

حَلًّا مَسْئَلًا لَّا هُوَ لَوْ تَأَمَّنَا: هَاسِبٌ حَصْنٌ هَاسِبٌ حَصْنًا وَحُلْمًا لَمَّا
حَلِّي هَهُ وَهَهُ كَلْبٌ كَلْبٌ حَتَّى لَمَّا:
مَأْمَأَمَّا مَنَّهُ حَلًّا مَعْمَمًا لَمَّا.

وترجمتها:

لا تنتظر إلى الاتكال على الغنى العالمي:
وأحبب ربك وأكثر العمل لتبغض العالم.
لأنك إن اقتنيت ألوف الألوف من الوزنات
فعندما تغادر فإنك تغادره ورغبة الفلاس معك.

حكمة أخرى يسوقها شاعرنا وهو على ما يبدو خبر الحياة وتؤكد أن
كل ما فيها من أموال ومقتنيات زائلة ولا تغني الإنسان بل إن الغنى الحقيقي
هو في محبة الرب إذ أن المحبة هي تاج الفضائل ومن يزينه هذا التاج يكون
قد ربح العالمين.

لقد بدأ البيت الأول بحرف الجر حَلَا والبيت الثاني بأداة الشرط إن لَمْ
مسبوقة بحرف الباء والتي تقاب الفاء التي تسبق حرف الشرط، سيطرته في
التصف اللغوي واضحة. وبناء جملة رصين.
وله في وصف الورد أبيات ساحرة نختار منها:

وَوَا حَمَلًا مَرَّ حَا وَهَا وَجَبًا وَجَمَسًا:
مَصَلَّهْ وَبِهَا كَبَّ مَلَلَهْ وَجَ وَهَسَ عَجًا.
وَجَاجَ حَمَكَهَا فَجَا هَهْ كَسَا سَكَا حَا وَهَؤَا:
هَجَّصَّحَهَا هَا حُصَّ كَسَا حَكَمًا هَجَّجَا

والترجمة:

الورد بسكوته وسط الضجة ربيب الولايم:
كان يتكلم حيث كان يعاني من روح السكارى
في طفولتي الأشواك كانت هي قماطي

وفي شيخوختي ها إن الغلمان والصغار يهزأون بي.

صورة جميلة للحياة حيث أن المعاناة موجودة دائما سواء في الطفولة أم في المشيب، إذ ليس هناك عدل في هذه الحياة. وهنا نلاحظ استعماله المطابقة كُصَمِّهْأ وهي جمع الضدين والتي تفيد العبقرية والعلم وهي من المحاسن اللغوية. كان في سكوته يتكلم ومعروف أن السكوت في كثير من الأحيان أبلغ من الكلام.

وله في وصف الشمعة أبيات حلوة نأخذ منها:

لَحْمَنِي، أَمَّنِي، وَحَمِي، وَسَمِي حَبِي نَهِي:

هَلَسَجِيهْأ، وَجَعَا، وَفَسَا حَلَا، نَهِي:

فَسِي، وَهَبِي حَسَعَا، وَصَمِي حَدَهَا، وَجَهِي:

هَهِي حَصِي حَلَا، هَا قَامَ لَنَا هَحَلَا، وَفَسِي نَهِي:

والترجمة:

سألت الشمعة لماذا أحببت مناجاة النار:

وتركت مصاحبة العسل بعد مدة.

أجابت أنذاك كنت نائما في الظلمة في الكوارة:

وها أنذا قائمة في الوسط ويعلو رأسي النور.

تمثيل جميل للحياة فإن الإنسان يسعى للأفضل متحملاً في سبيل ذلك الصعاب والأوصاب وهي صورة رمزية جميلة لما يحدث في الحقيقة حيث يلتذ البعض بالمعاناة من أجل الهدف الأسمى.

نعود إلى فنونه الشعرية ثانية لنرى ماذا كان يفعل:

استعماله اسم الفاعل الفعلي كما في قصيدته التالية المتميزة بالجناس والتي يتغير حرف واحد أو حركة واحدة بتغيير وزنها ومعناها. حيث يقول:

حِجْبُ صُنَا مَرَّ لِحْنًا مَرَّ لِحْنًا:

كَلِمَةٌ صُنَا مَرَّ لِحْنًا مَرَّ لِحْنًا.

أ. وكذلك يستعمل المقالة كُصْحَمًا: وهي الإتيان بالمتألفات المختلفة

وبما يطابقها بالترتيب حيث يقول:

وَصَعْلًا وُصَا، وَأُفْعَلًا نُهَا مَعْلًا وُصَا:

هَمْعَلًا وُصَا هَمْعَلًا بُّبَا هَمْعَلًا وُصَا.

مَحَّ هَمْعَلًا حَمَّ، حَمْسًا مَعْلًا مَنُصَا:

وَأُفْعَلًا مَرَّ مَرَّ، نُهَا حَمْلًا مَعْلًا مَنُصَا.

والترجمة:

المنحل لا بد أن يكون منحلًا.

ومنحلًا ومعذبًا ومنبوذاً

من التلذذ بهذه المناجاة مدعواً:

دون أن يكون إلى الأبد مدعواً.

نلاحظ استعماله نفس الكلمة وهي اسم الفاعل الفعلي مَعْلَمٌ وَمُنَا في بداية البيت وفي نهاية الصدر ليعود ويستهملها في بداية العجز. وفي البيت الثاني يستعمل نفس الكلمة مَعْلَمٌ وَمُنَا في نهاية الصدر والعجز وهذا لئن دل على شيء فإنه يدل على تمكنه العالي من اللغة وقواعدها وسعة اطلاعه وتصرفه وكفاءته اللغوية. وله وبنفس الأسلوب في النظم هذا البيتان:

سَقًا حَتَّمَا لِي مَعَّ مَكْبًا لَأ مَدَحَحَفَّ:

هَمَّ حَفَّتَا حَتَّمْنَا لَأ مَدَحَحَفَّ:

حَبًّا بَبَّتَا مَعَّ وَحُنًّا لَأ مَصَلَّ:

أَفَلًا قَتَمَ سَجَمًا حَمَّهْنَا لَأ مَصَلَّ:

وهي نصيحة جميلة بوجود اقتلاع جذور الحزن والكآبة والعادات السيئة ويجب ان يأنف منها الضمير وإلا لما استطاع العقل أن يقرأ أسفار الحكمة، وهنا يستعمل الشرط وجوابه بل إن كلمة مَصَلَّ استعملها بمعنيين مختلفين.

يستعمل في قصيدته "الحكمة لا يحصل عليها إلا بالمرارة". أداة الشرط في بداية الصدر وجواب الشرط في بداية عجز البيت كما في المثال التالي:

أُسَّهْ وَبَارِحًا وَبَعْلَسَمَ كُفَّ لَأ وَحَمَّ كَحَّ:

لَأ تَجَاجَ كُفَّ أُسَّهْ وَبُجَلَكَّ كَعَمَّ سَنَحَّ:

أُسَّهْ وَبَعَمَّ كَحَجَّهْ كَهَلَّ لَأ لَأ وَجَّ:

لَا مَرْمَةَ لِمُحَدِّمِ كَيْفَ مَا أَحْبَبُوا صَعْنَهُمْ حَدِّحْ.

والترجمة:

إن أردت أن تفتح لك أبواب قلبنا:

لا تتألم إن قاسيت حد سيفنا.

فإن لم نفك لنا عبدا.

فلن تستطيع أن تجرد عظماً صغيراً من سماط خروفنا.

وفي هذا يريد أن يبين أن من يطمح إلى المعالي والوصول إلى الأهداف السامية التي قد وضعها نصب عينيه عليه أن يحتمل المعاناة والألم والكثير من الشدائد في سبيل تلك الأهداف.

أجل إن من يريد أن يصل إلى السمو والرفعة عليه أن يحتمل أوصاب الحياة بكل معاناتها.

ومن تمكنه العالي من اللغة استعماله الصفة مجزومة في بناء الداعمة، وكذلك كقافية للبيت نفسه كما في هذا البيت:

صَعْمُحًا وَفَلَسَ صَعْبُحًا وَوَسَّهَ وَهَجًا وَهَمَّسَ:

هَوَّهًا وَهَجَسَ رَهًا حَمَلًا نَرَسَ وَهَهُكُهُ مَنَسَ.

وهو أيضا يستعمل العطف حَهُهُعًا وهو من المحاسن التي تعيد العبقرية والعلم.

ويمكن إجمال الصفات العامة لشعره بما يلي:

14. استعماله بحوراً مختلفة وعدم الاقتصار على بحر واحد.

15. هو شاعر متعدد الأغراض كتب في الوصف والحكمة والوجدانيات والشوقيات والخمريات.
16. مخزونه الغوي كبير ويعرف أصول اللغة جيدا.
17. شاعريته أصيلة وقريحته متوقدة.
18. حسه الشعري وقيق ومتدفق.
19. جملة مسبوكة جيدا ولا تكلف فيها.

هذا غيـض من فيض مما قدمه شاعرنا نأمل أن نكون قد سلطنا بعض الضوء على جوانب شعره والتي فيها الشيء الكثير الذي يستحق الدراسة.

المصدر:

ديوان شعره المنشور في دهوك سنة 2002م.

الفهرست

الصفحة	الموضوع
6	1. مكانة العلم في القصيدة السريانية
21	2. المعجم السرياني والمندائي
33	3. حركة الترجمة الطبية في العصر العباسي
46	4. مار أفرام السرياني شاعرا
65	5. عبيدشوع الصوباوي
76	6. مار غريغوريوس بولس بهنام
87	7. خاميس القرداحي